

الفصل الرابع

النتاج العلمى والأدبى فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى

أولا العلوم النقلية:

- ١ - العلوم لدينية "الشريعة".
- ٢ - العلوم الأدبية واللغوية:

ثانيا العلوم العقلية

- ١ - علم الطب ٢ - علم الكيمياء
- ٣ - علم الصيدلة ٤ - علم الرياضيات
- ٥ - علم الفلك والتنجيم ٦ - الفلسفة وعلم الكلام.
- ٧ - علم التاريخ ٨ - علم الجغرافيا

obeykandl.com

تطور النتاج العلمى والأدبى فى إقليم خراسان خلال العصور السابقة، حتى بلغ درجة عظيمة من الازدهار والتطور فى العصر السلجوقى، بفضل اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء، حيث زخر بلاطهم، وبلاط خلفاء بنى العباس فى عهدهم، بالعلماء، والأدباء، والشعراء، الذين أثروا المكتبات الإسلامية بكثير من مؤلفاتهم العلمية، مما ساعد على ازدهار الثقافة الإسلامية.

ولقد قسم المسلمون العلوم إلى قسمين: علوم نقلية، وعلوم عقلية، والعلوم النقلية هى التى تتصل بالقرآن الكريم، وتشمل علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث، والفقه وأصوله، والتصوف، والتوحيد، واللغة، والنحو، والمعانى والبيان، والأدب، أما العلوم العقلية فتشمل، علم الطب، الكيمياء، الصيدلة، الهندسة، علم الفلك والتنجيم، الفلسفة وعلم الكلام، التاريخ، الجغرافيا^(١).

ولقد برز الكثير من العلماء فى العلوم النقلية (الشرعية) والعقلية، فنجد فى العلوم النقلية علماء ألموا بأكثر من فرع منها، فنجد العالم قد ألم بالدراسات القرآنية عموماً، مما يجعلنا نشير أحياناً إلى هذا العالم فى أكثر من موقع فى البحث، فنذكره مثلاً فى مجال علم القرآن، ثم نشير إليه عند حديثنا عن الفقه أو التفسير مثلاً على اعتبار أن ذلك العالم مقرئ وفقهه، أو مقرئ، ومفسر، أو محدث وفقهه أو مفسر ومحدث وفقهه، وغير ذلك.

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢٣٩، مواهب عبد الفتاح: الحياة السياسية، ص١٣٧

أولا العلوم النقلية:

وتنقسم إلى العلوم الشرعية (الدينية) والعلوم الأدبية

١ - العلوم الدينية (الشرعية)

أ - علوم القرآن "القراءات":

القرآن الكريم هو أصل الشريعة^(١)، وهو معجزة الإسلام الخالدة، أنزله الله على رسولنا محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور^(٢).

وعلوم القرآن هي أول العلوم التي أهتم بها المسلمون عبر العصور الإسلامية لذلك حرص المسلمون على تعلمه وتعليمه لأبنائهم، بالمداومة على قراءته وتجويده، وتلاوته، وحفظه مستعينين في ذلك قول رسول الله ﷺ "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"^(٣).

ويعتبر هذا الحديث دافعا قويا عند أهل السنة والجماعة في تعلم القرآن^(٤) كما يوضح هذا الحديث أن كتاب الله هو المنقذ من الفتن، الهادى إلى صراط المستقيم المنجى لصاحبه من عذاب القبر وسوء الحساب^(٥).

(١) الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى، ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، أدب الدنيا والدين، حققه وعلق عليه د/مصطفى السقا، ط ٥، مصطفى الباي الحلبي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٩٥

(٢) مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط ١٠، نشر، مطبعة وهبة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٣.

(٣) الزبيدي: أبي العباس أحمد ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م، التجريد الصحيح لأحداث الجامع الصحيح، مختصر "صحيح البخارى" تحقيق د/عماد عامر، جزءان، ط ٣، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، حديث رقم ١٨١٧، ص ٥٢٨.

(٤) رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق، ص ٢٨٣، الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية، ص ٢٥٤.

(٥) ثناء على مخيمر الشيخ: مباحث في علوم القرآن، ط ١، الزقازيق، ١٤١٩، ١٩٨٨م، ص ١٧٤

والعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة، أدمجها السيوطي^(١): فى ثمانون نوعا، ولقد عرف ابن خلدون^(٢) علم القرآن بقوله "القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتى المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة روه عن الرسول ﷺ على طرق مختلفة وكيفيات الحروف فى أدائها".

وأول علوم القرآن التى اهتم بها المسلمون، علم القراءات الذى يعنى بمذاهب الأئمة فى قراءة القرآن الكريم، وهذه المذاهب باقية أجماعا يقرأ بها الناس ومنشؤها اختلاف فى اللهجات، وكيفية النطق، وطرق الأداء من تضخيم، وترقيق، وإماله، وإدغام، وظهور، وإشباع، ومد وقصر، وتشديد وتخفيف^(٣). وكانت جميع القراءات جائزة عند المسلمين فى الأقاليم الإسلامية^(٤)، وعند الأئمة، الجميع على صواب^(٥)، وكان المسلمون يرجعون فى إثبات صحة القراءة إلى الإسناد بالتسلسل، كقولهم قرأ فلان على فلان، حتى ينتهى إلى قرأ على بن أبى طالب على النبى ﷺ^(٦)، ولقد اهتم سلاطين ووزراء السلاجقة بالقرآن الكريم وعلومه، فقد كان الوزير نظام الملك الطوسى ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، قد حفظ القرآن وهو فى الحادية عشر من عمره^(٧).

ومن علماء خراسان فى علم القراءات خلال العصر السلجوقى:

المقرئ الواعظ إسماعيل بن أحمد، احد أئمة المسلمين، ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٧ م، وله تصانيف مشهورة فى علوم القرآن والقراءات^(٨).

(١) جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م، الإتيقان فى علوم القرآن، ٤ أجزاء، تحقيق، د/محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون، ج١، ص ١٤ - ١٧، مناع القطان: مباحث فى علوم القرآن، ص ٤٩، ٥٠.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص ٣٨٨.

(٣) السيوطى: الإتيقان، ج١، ص ١٣.

(٤) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ٣ أجزاء راجعه وعلق عليه د/حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، بدون، ج٣، ص ٦٨، محمد عبد السلام إبراهيم: المحتويات فى الحضارة الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، بدون، ص ١٧٩.

(٥) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٤٦.

(٦) جرجى زيدان: المرجع السابق، ج ٣، ص ٦٨.

(٧) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٤٥.

(٨) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٢، ص ١٩٣.

ومن أشهر قراء خراسان: شيخ القراء: أبو عبد الله، محمد بن علي بن محمد النيسابوري الخبازي، وكان شيخ نبيل، عارف بالقراءات توفي سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م^(١)، ومن تتلمذ عليه في هذا العلم، أبو المعالي الجويني ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م، كان يكرر كل يوم، إلى المسجد، ويقرأ عليه القرآن^(٢).

ومن مقرئ خراسان في العصر السلجوقي أيضا: أبو سعد بن أبي شمس النيسابوري أحمد بن إبراهيم بن موسى المقرئ الموجود، وروى "الغاية في القراءات" وتوفي سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٣ م^(٣).

ومن كان لهم معرفة تامة بالقرآن وتفسيره، علي عبد الله بن أحمد النيسابوري ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٧ م^(٤).

ومن صنف في علوم القرآن، أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله الخرقى، الفقيه، الشافعي، وله "جماع أبواب وجوه قراءة القرآن، وتوفي ٤٥٨ هـ / ١٠٦٧ م^(٥).

والمقرئ أحمد بن أبي عمر، أبو عبد الله الأندرابي، وكان شيخا زاهدا، عابدا، عالما بالقراءات، له التصانيف الحسنة في علم القراءات، توفي ٤٧٠ هـ / ١٠٧٩ م^(٦).

ومن كان إماما في علم القراءات، شيخ القراء محمد بن أحمد بن علي بن حامد، أبو نصر المروزي، شيخ القراء بخراسان، سافر الكثير في طلب علم القرآن، حتى صار إماما في القراءات، وأوحد وقته وصنف فيه التصانيف^(٧) ومن

(١) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٣٥١.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية، ج ٥، ص ١٧٠.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٩٢.

(٤) ياقوت: معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٤١، ١٤٠.

(٥) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج ١، ص ٦٨.

(٦) ياقوت: معجم الأدباء، ج ١، ص ٥٩٣.

(٧) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٩، ص ٦٠، الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢،

ص ٤٣١، ٤٣٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٧٢.

مصنفاته الحسنة كتاب "المعول" وكتاب "التذكرة لأهل البصرة"^(١). ومن أقواله:
أن نصف القرآن في قوله تعالى "لقد جئت شيئا نكرا"^(٢).

النون والكاف في النصف الأول، والراء والألف من النصف الثاني^(٣)، وفي ذلك يقول السيوطي^(٤): قال بعض القراء: القرآن العظيم له أنصاف اعتبارات، فنصفه بالحروف النون، والكاف من النصف الثاني، وقيل: إن النصف بالحروف الكاف من "نكرا".

ومن مقرئ خراسان الذين صنفوا في علم القراءات أيضا: أحمد بن محمد بن علي الهروي ت ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م، وصنف "التذكرة في القراءات الثمان"^(٥).

ومن كان لهم معرفة بعلوم القرآن: محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري المقرئ ت ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م، وكان عارفا بعلوم القرآن، وتخرج به جماعة^(٦).

ومن صنف في علم القراءات أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ت ٥١٦هـ / ١٠٢٣م، وصنف "الكفاية في القراءة"^(٧).

وابن الغزال علي بن محمد بن محمد النيسابوري المقرئ، وله تصانيف مفيدة في القراءات، وتوفي ٥١٦هـ / ١٠٢٣م^(٨).

وكذلك لأبي جعفر أحمد بن علي المعروف بجعفر: ت ٥٤٤هـ / ١٠٥١م، "المحيط بلغات القراءات"^(٩).

(١) ياقوت: معجم الأديباء، ج٥، ص ١٥٧.

(٢) سورة الكهف: الآية ٧٤

(٣) ياقوت: معجم الأديباء، ج٥، ص ١٥٨.

(٤) السيوطي: الإتيقان في علوم القرآن، ج١، ص ١٩٨.

(٥) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٨١.

(٦) السيوطي: بغية الوعاة، ج١، ص ٣١٢.

(٧) البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٣١٢.

(٨) البغدادي: نفسه، ص ٦٩٦.

(٩) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٣، ص ١٦١٩.

ومن مقرئ خراسان المقرئ أبو الفتح عبد السلام بن أحمد بن إسماعيل الهروي، وتفرد بهذا العلم، وكان حيا سنة ٥٥٥ هـ / ١٠٥٧ م^(١).

ب - علم التفسير:

كان تفسير القرآن الكريم أحد فروع العلوم الدينية الإسلامية، التي ساهم فيها مفسرو خراسان في العصر السلجوقي.

وعلم التفسير يعرف به فهم كتاب الله المنزل على رسول الله ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والبيان، وأصول الفقه، والقراءات^(٢).

ويقول بن خلدون^(٣): "أعلم أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى أساليب بلاغتهم، وكانوا يفهمونه، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملا جملا، وآيات آيات، لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع". ومع هذا فلم يكن القرآن جميعه في متناول الصحابة جميعا يستطيعون أن يفهموه - إجمالا وتفصيلا - بمجرد أن يسمعه^(٤)، ومما لا شك فيه أن في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحتاج إلى تفسير^(٥).

ولما صار الإسلام دولة وإقليم خراسان منها، احتاجوا إلى الأحكام والقوانين، كان القرآن مصدر استنباطها، فزادت العناية في تفسيره، وأصبح القراء والمفسرون مرجع المسلمين في استخراج تلك الأحكام^(٦).

(١) الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٥.

(٢) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله ت ٧٩٤ هـ / ١٤٨٩ م، البرهان في علوم القرآن، عدة أجزاء، تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، بدون، ج ١، ص ١٣.

(٣) المقدمة: ج ٢، ص ٣٩١.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ط ٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤ م، القلارة ص ١٩٥.

(٥) يحيى وهيب الجبوري: الكتاب في الحضارة، ص ٥٧.

(٦) الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ص ٢٤٧.

ارتقى علم التفسير فى العصر السلجوقى رقىا كبيرا، لوجود العديد من الفرق الدينية، كالسنة، والشيعه، والمتصوفة، والمعتزلة، حيث حاولت كل فرقة إثبات عقائدها فى كتب تفيدها، حيث كان كل علماء كل فرقة ينظرون إلى القرآن، ويفسرونه من وجهة نظرهم، ويكتفون فى أحكامهم بالاعتماد على تفكيرهم وإطلاعهم، باحثين فى نطاق ما تخصصوا فيه من فنون، فالعالم النحوى مثلا ينظر فى القرآن من جهة قواعد النحو، والفقهاء من حيث قواعد الفقه، وعالم الأخبار ينظر فيه من جهة القصص والأخبار، والصوفى من ناحية التصوف^(١).

ولقد اتجه المفسرون فى تفسير القرآن الكريم اتجاهين:

الأول:

يعرف بالتفسير النقلى "المأثور"، ويستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهى معرفة النسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومقاصد الرأى، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين^(٢). أى ما روى عن الرسول ﷺ من شرح وتفسير القرآن، وما أثر عن كبار الصحابة والتابعين^(٣)، وقد حظى هذا النوع بتشجيع الأئمة الكبار بخراسان، وفى ذلك يقول إمام الحرمين الجوينى^(٤): "فالأولى الأتباع، وترك الإبداع"، وقد وجد العامة أن هذا النوع من التفسير يلائمهم لسهولة فهمه وبساطة شرحه وبعده عن التعقيد^(٥).

ومن أشهر مفسرى خراسان فى هذا النوع من التفسير أبو المعالى الجوينى إمام الحرمين ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م، الذى ظل طول حياته يفسر المذهب

(١) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة، ص ٣٧٩، ٣٨٠، عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبرى والملوكى، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م، ص ١٨٧.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٠٠، على محمد عمر: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، المنيا بدون، ص ٣١٦.

(٤) عبد الملك: بن عبد الله بن يوسف ت ٤٨٧ هـ / ١٠٨٥ م، العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية، بغداد، ١٩٥٥، ص ٧٥.

(٥) القابسى: التعليم فى رأى القابسى، بغداد، ١٩٦٩ م، ص ٧٤، ٧٥.

الشافعي، ويدافع عن العقيدة الأشعرية التي كانت تواجهه، المعتزلة في ذلك الوقت، ومن أهم آثاره التفسير المسمى "تفسير الجويني" و"تفسير إمام الحرمين" (١).

أما النوع الثاني من التفسير وهو التفسير العقلي وهو الذي يرجع إلى اللسان عن معرفة اللغة والبلاغة في تأدية المعنى بحسن المقاصد والأساليب، وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول هو المقصود بالذات، وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعات (٢). أي أن هذا النوع من التفسير، كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل، وذلك سمي التفسير بالرأى أيضا، وقد شغف به المعتزلة، والباطنية "الشيعة"، حيث لجأوا إلى تفسير وتأويل القرآن بما يتفق وعقيدتهم، وقد أحيط أصحاب هذا النوع من التفسير في العصر السلجوقي بكثير من القيود لعارض أرائهم مع رأى سلاطين ووزراء السلاجقة (٣).

ومن أشهر التفاسير في هذا النوع أيضا "الكشاف في تفسير القرآن" للزمخشري المعتزلي ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م (٤).

ومن أشهر علماء هذا النوع محمد بن الحسين بن علي، أبو جعفر الطوسي، الشيعي ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٦ م، وله "تفسير الطوسي"، وقد أحرق داره وكتبه عدة مرات (٥).

ومن أقطاب التفسير في خراسان خلال العصر السلجوقي أبي القاسم عبد

(١) حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطي الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبى ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٧ أجزاء ٣ مجلدات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ج١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٤٤٣.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص ٣٩٤.

(٣) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص ٨٢.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص ٣٩٤، الزركلي: خير الدين، الإعلام، "قاموس تراجم"، ط٢، طبعة كوستاتسوماس، بدون، ج٨، ص ٥٥.

(٥) السبكي: طبقات الشافعية، ج٤، ص ١٢٦، ١٢٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٠٥، حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٤٥٢.

الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م، وله "التفسير الكبير" (١)، وسماه "كتاب التيسير في علم التفسير"، وهو من أجود التفاسير (٢)، وعلى بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدى النيسابوري ت ٤٦٨هـ / ١٠٧٥، وصنف التفاسير الثلاثة البسيط في نحو ستة عشر مجلدا، و"الوسيط" في أربع مجلدات، و"الوجيز"، ومنه أخذ الغزالي ت ٥٠٥هـ / ١١١١م هذه الأسماء (٣).

ومن مفسرى خراسان أيضا أبو المظفر الاسفراينى ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م، وصنف تفسيره المسمى "تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم" (٤).

والمفسر شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارى الهروى ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م، وكان إماما كاملا فى التفسير، وفسر القرآن زمانا (٥)، أبو المظفر السمعانى ت ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م، وله "تفسير القرآن" (٦)، الغزالي ت ٥٠٥هـ / ١١١١م، وصنف فى التفسير "ياقوت التأويل فى تفسير القرآن" فى أربعين مجلدا (٧)، أبو المحاس مسعود بن على بن أحمد البيهقى ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م، وله "تفسير القرآن أيضا" (٨).

ومن مفسرى الفترة المتأخرين: أبى سعد السمعانى ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م، وله "تفسير القرآن" (٩) أيضا.

ج - علم الحديث

عنى المسلمون بالحديث النبوى عناية خاصة منذ عهد الرسول ﷺ، وأقدم

- (١) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص ٢٨٠.
- (٢) الأدنة دى: طبقات المفسرين، ص ١٢٦.
- (٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٣٠.
- (٤) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٤٤٢.
- (٥) الأدنة دى: طبقات المفسرين، ص ١٣٧، ١٣٨.
- (٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٦٥، البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص ٤٧٣.
- (٧) الأدنة دى: طبقات المفسرين، ص ١٥٢.
- (٨) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٤٤٤.
- (٩) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٤٤٩.

من سمع هذه الأحاديث، الصحابة وحفظوها، ولذلك فهو المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى، فوضعوا له قوانين الرواية، وكان من أهم هذه القوانين البحث عن سند الحديث، وفحص أحوال الرواة، وبذلك تمكنوا من تقسيم الأحاديث بحسب متونها من جهة، وبحسب أساندها من جهة أخرى، واستنبطوا مصطلحات خاصة عرفوا بها، ودققوا فى الالتزام بها، فأصبح علما قائما بذاته^(١).

قال السمعاني^(٢) " أعلم وفقك الله أن علم الحديث، أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، إذ الأحكام مبنية عليها ومستنبطة منهما، والله سبحانه وتعالى شرف نبينا عليه الصلاة والسلام، حيث قال: "وما ينطق عن الهوى إن هوى إلا وحى يوحى"^(٣).

ويقول ابن الصلاح فى مقدمته^(٤): "إن علم الحديث من أفضل العلوم الفاضلة، وأنواع الفنون النافعة"، كما ذكر فهرست لأنواع الحديث، فعدده خمسة وستون نوعا^(٥).

وعلم الحديث من أهم مصادر التشريع الإسلامى، ولذلك نالت دراسته الكثير من الإهتمام والرعاية، وكان الراغبون فى دراسته ينتقلون فى البلاد للسمع من كبار المحدثين الذين اشتهروا بالدقة والتحقيق^(٦)، وقد نال الحديث حظا وافرا من جهود الفقهاء، كما عنى سلاطين ووزراء السلاجقة بعلم الحديث، فتولى

(١) على الزهرانى: الحياة العلمية فى صقلية الإسلامية، ص ٢٨٠.

(٢) السمعانى: أبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م، أدب الإملاء والاستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون، ص ٣.

(٣) سورة النجم: الآية ٤.

(٤) ابن الصلاح: أبو عمر بن عثمان ت ٦٤٣هـ/١٢٤٤م، مقدمه ابن الصلاح فى علوم الحديث، مكتبة المثنى، بدون، ص ٣.

(٥) ابن الصلاح: المقدمة، ص 4٧، للمزيد راجع ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٣٩٥: ٣٩٧.

(٦) عبد الهادى رضا: الوزارة ونظام الملك الطوسى، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب القاهرة، بدون، ص ٢١٠، ٢١١.

الكثير من المحدثين فى عهدهم القضاء^(١)، وزخرت نيسابور ومرو، وهراة، وبلخ، بالمحدثين وقد كان على المحدث أو المفسر أو الراغب فى تعلم الحديث أن يعرف أسانيد الرجال وأسماءهم، ومراتبهم، ويحفظ قدرا كبيرا من الأحاديث، ويقرأ الكتب الستة الصحيحة وهى: صحيح البخارى، وصحيح مسلم، سنن ابن ماجه، سنن أبى داود، وجامع الترمذى، وسنن النسائى، كما كان الواجب أن تكون قراءته تلك على أستاذ كى يحصل منه فى النهاية على تصريح بروايتها، وكان عليه أيضا أن يحفظ كتاب مسند الإمام أحمد بن حنبل أو موطأ الإمام مالك^(٢).

وقد اعتمد علماء الحديث اعتمادا كبيرا على الرحلة فى طلب الحديث ولقيا الشيوخ، والتثبت من الأسانيد، وهى ظاهرة مهمة جدا تدل على مدى العناية والاهتمام بحديث رسول الله، وعلى الرغم من ذلك ظهرت الوجداء^(٣)، إلا أنها لم تحل محل الرحلة التى كان يقوم بها طلاب الحديث من قبل للقاء رجاله، كما ذكر آدم متز^(٤)، وإنما تمثل أسلوبا من أساليب تطور تلقى الحديث، فلقد استمرت الرحلة عند علماء الحديث وطلابه عبر العصور^(٥).

وتطورت طرق نقل الحديث من خلال الرحلة فى طلب العلم، ولم تقتصر على السماع وإنما اتسعت إلى الإجازة، حين يجيز الشيخ لشخص معين فيقول "أجزت تلك الكتاب الفلانى" أو "ما اشتملت عليه فهرستى هذه" فهذا أعلى أنواع الإجازة المجردة عن المناولة^(٦) واشتروطا فى صحة

(١) جعفر حسين خصباك: القضاء فى العراق فى العهد السلجوقى، بحث مستخرج من المجلة التاريخية العراقية، العدد الثالث، بغداد، ١٩٧٤م، ص ٣٢١.

(٢) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة، ص ٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) الوجداء: وهى مصدر لـ "وجدجد" والوجداء هى أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويهها بخطة ولم يلقه، ولم يسمع منه ذلك الذى وجدته يخطه، فيقول "وجدت بخط فلان أو قرأت بخط فلان، أو فى كتاب فلان يخطه، أو قرأت بخط فلان عن فلان. ابن الصلاح: المقدمة، ص ٨٦".

(٤) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ج ١، ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٥) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص ٢٩١، الزهرانى: الحياة العلمية، ص ٢٨١.

(٦) ابن الصلاح: المقدمة، ص ٧٢.

المناولة اقترانها بالإذن بالرواية، وهى أرفع أنواع الإجازة^(١).

وعندما يكتب الشيخ إلى الطالب وهو غائب شيئاً من حديثه بخطة أو يكتب له ذلك، وهو حاضر يلحق بذلك، ما إذا أمر غيره بأن يكتب له ذلك عنه إليه، يسمى ذلك بالمكاتبة، وهى إما أن تتجرد عن الإجازة، أو تقترب بها وذلك بأن يكتب الإجازة^(٢)، وإما أن يوصى الراوى بكتاب يرويه عند موته أو سفره لشخص ما فيعرف ذلك بالوصية^(٣).

لقد أدى هذا التنوع الكبير فى أساليب تلقي الحديث إلى تطور علم الحديث فى خراسان، كما نشطت بعض المؤلفات فى معرفة الحديث، ومعرفة الغريب منه، من خلال الرحلة إلى الأقطار الإسلامية، لتلقى هذا العلم الجليل، مما أدى إلى ظهور عدد كبير من المفسرين والفقهاء ومن برعوا فى هذا العلم، كما برز عدد من محدثى خراسان فى العصر السلجوقى منهم:

أبو الحسين عبد الغافر بن محمد عبد الغافر الفارسى، ثم النيسابورى ت ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م، روى صحيح مسلم، وغريب الخطابى وكان عدلاً جليلاً القدر^(٤).

وأبى عثمان الصابونى ت ٤٤٩ هـ / ١٠٧٥ م، وله "الأربعين فى الحديث"^(٥) وأبى بكر البيهقى ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م، وله "المحيط" فى الحديث^(٦)، وأبى القاسم القشيرى ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م، سمع الحديث، وحدث كثيراً^(٧)، وله الأربعين فى الحديث^(٨).

(١) ابن حجر العسقلانى: أحمد بن على ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م، نخبة الفكر فى مصطلح أهل الفكر، تحقيق وتدقيق د/ محمود محمد حمودة، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م، ص ٣٣.

(٢) ابن الصلاح: المقدمة، ص ٨٣.

(٣) ابن الصلاح: نفسه، ص ٨٥.

(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٥) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٥٣.

(٦) البغدادى: هدية العارفين، ج ١، ص ٧٨.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١١٥، ١١٦.

(٨) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٥٨.

ومن رجال الحديث فى خراسان أبو محمد عبد الله بن عطاء بن عبد الله بن أبى منصور بن الحسن الهروى، المحدث الحافظ، أحد الحفاظ المشهورين الرحالين، سمع بهراة من شيخ الإسلام الأنصارى ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م، وبنيسابور من القشيرى ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م، وغيرهم وكتب بخطه الكثير، وخرج التاريخ للشيوخ، وحدث وروى عنه جماعة، وتوفى سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٧٤ م^(١).

ومن محدثى مرو أبو بكر محمد بن منصور بن عبد الجبار بن أبى المظفر السمعانى ت ٥١٠ هـ / ١٠١٧ م، سمع الحديث من أبيه أبى المظفر ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦، وجماعة، ورحل فى طلب الحديث، وعاد إلى مرو وأملى بها مائة وأربعين مجلسا فى جامعها^(٢).

والحافظ أبو الفتح نصر بن إبراهيم الهروى ت ٥١١ هـ / ١٠١٨ م، وله مصنفات فى الحديث منها "المسند فى الحديث" فى ثلاث مجلدات^(٣).

وأبو محمد الحسين بن مسعود بن محمود البغوى ت ٥١٦ هـ / ١٠٢٣ م، ومن تصانيفه فى علم الحديث، "الجمع بين الصحيحين مسلم وبخارى" و"شرح السنة فى الحديث"، و"مصايح السنة" فى أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة عشر حديثا^(٤).

ومن أعيان المحدثين بخراسان، المحدث الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن أبى الحسينى عبد الغافر بن محمد الفارسى، ثم النيسابورى، وصنف فى علم الحديث "المفهم لشرح مسلم"، وتوفى ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م^(٥).

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٥٢، ٣٥٣.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص١٨٨.

(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٩٩.

(٤) البغدادى: هدية العارفين، ص١، ٣١٢.

(٥) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٢٧٥.

د - علم الفقه وأصوله:

يطلق لفظ الفقه في اللغة على الفهم مطلقا، إذ يقال فهمت كلامك^(١)، قال تعالى "فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا"^(٢).

ويعد الفقه من أبرز العلوم الدينية الإسلامية التي إشتغل بها المسلمون، فقد احتيج إليه لتيسير شئون أحوالهم الشخصية ومعاملتهم المدنية، وذلك عن طريق وضع الأحكام الشرعية بين الرعاية، وكان أساسه القرآن والسنة.

يقول ابن خلدون^(٣): "الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاه من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"

وبذلك فإن المسلمون استخرجوا أحكامهم من القرآن والسنة، وكانت السنة شارحة للقرآن الكريم، تبين مجمله، فالسنة أو أحاديث الرسول بينت كثيرا من آيات القرآن، كالذي في آيات الصلاة والزكاة، فالقرآن لم يبين هيئات الصلاة ولا أوقاتها ولم يبين المقادير الواجبة في الزكاة ولا شروطها، إنما يبين ذلك الرسول ﷺ بقوله أو فعله^(٤).

أما علم أصول الفقه فقد عرفه حاجي خليفة^(٥): فقال "هو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية الأربعة الكتاب والسنة والإجماع^(٦) والقياس^(٧)".

(١) السيد عبد العزيز العدوي: المرشد في الفقه الإسلامي، جزءان، ط١، مكتبة مروية للطباعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج١، ص١٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص١.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٣٣.

(٥) صاحب خليفة: كشف الظنون، ج١، ص١١٠.

(٦) الإجماع: هو اتفاق الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكذلك اتفاق العلماء في الأمصار في كل عصر دون غيرهم من العامة الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب ٩٧٦هـ/٣٦٦م، مفاتيح العلوم، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٧.

(٧) القياس: نوعان: قياس علة، وقياس شبه. فقياس العلة: أن تجمع المقيس والمقيس به.

وأول من كتب فى هذا العلم الشافعى رضى الله عنه وأصحابه، ثم كتاب فقهاء الحنفية، وكتب المتكلمون أيضا فيه^(١).

وحظى علم الفقه وأصوله فى عهد السلاجقة باهتمام كثرة من المؤلفين، خلفوا لنا العديد من الكتب التى بلغت من التنظيم والتعليل، وإبداء وجهات النظر فى المشكلات الشرعية مرحلة لا نجد لها نظير من قبل، وتقدم علم الأصول بصورة لم يحدث نظيرها فى العصور السابقة على العصر السلجوقى، وتجلى ذلك واضحا فى كتب الأئمة، كالقشبرى ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٣ م والجوينى ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م والغزالى ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م، والسمعانى ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م وغيرهم، وبدت أكثر وضوحا فى الآثار التى استخلصت من أحكام الشريعة فى نظام الإدارة والحكم وواجبات الملوك بعد أن كانت داخلة فيها ممزوجة بها^(٢).

وكانت المذاهب الفقهية الأربعة الشافعية، والحنفية، والحنبلية، والمالكية، تدرس وتلقى الأتباع من الدارسين على تعلمها، غير أن نظام الملك كان يخص أصحاب المذهب الشافعى بالاهتمام^(٣)، مما دعا بعض الدارسين للانتقال إلى المذهب الشافعى مثل ابن السمعانى وكان كل من يبلغ درجة معينة من الفقه ينال إجازة من كبار الفقهاء^(٤).

ومن أشهر فقهاء الشافعية فى هذا العصر: أبو الفتح القرشى، ناصر بن الحسين العامرى المروزى الشافعى، مفتى أهل مرو، ت ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م، وصار عليه مدار الفتوى والتدريس والمناظرة، وصنف كتبا كثيرة^(٥).

والفقيه الشافعى أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد المروزى ت ٤٦١ هـ /

=والقياس شبه: أن لا تجمع المقيس والمقيس به. ولكن يقاس به على طريق التشبيه، وكثير من الفقهاء لا يفرقون بينها. الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص ٧، ٨، ابن خلدون:

المقدمة، ح ٢، ص ٢١

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٢١.

(٢) الماوردى: الأحكام السلطانية، ص ٢.

(٣) عقيلى: آثار الوزراء، ص ٢٠٧.

(٤) البغدادى: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٣٤.

(٥) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٧٢.

١٠٦٨ م، وصنف "الإبانة" فى الفقه الشافعى وهو كتاب مشهور بين الشافعية فى خراسان والشرق الإسلامى^(١)، ومن تلاميذه عبد الرحمن بن المأمون بن على بن إبراهيم جمال الدين أبو مسعد الفقيه النيسابورى الشافعى ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٣ م، وقام بتممة "الأبانة" فى الفقه لإستاده، وصنف "الغنية فى الأصول"^(٢).

ومن فقهاء الشافعية الذين صنفوا فى المذهب شيخ الشافعية العبادى القاضى أبو عاصم محمد بن أحمد بن محمد بن عباد الهرورى، صاحب التصانيف المشهورة، منها "أدب القاضى" و"الهادى"، و"كتاب المياه"، و"كتاب الأظعمة"، و"كتاب الزيادات"، "زيادات الزيادات"، و"كتاب طبقات الفقهاء"، ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م^(٣)، ومن تلاميذه محمد بن أحمد بن يوسف الهرورى ت ٥١٨ هـ / ١٠٢٥ م، وصنف "شرح أدب القاضى" على مذهب الشافعى، لاستاذه أبى عاصم^(٤).

ومن فقهاء الشافعية أيضا أبو نصر الأربغانى الشافعى ت ٥٢٨ هـ / ١٠٣٥ م، ومن تصانيفه الفتاوى المستخرجة من نهاية المطلب وتعرف بفتاوى النهاية^(٥).

شيخ الشافعية محمد بن يحيى، أبو مسعد النيسابورى، وله التصانيف المشهورة فى الفقه الشافعى، ومنها كتاب "المحيط فى شرح الوسيط"، وأصبح أستاذ الفقهاء فى عصره، وتوفى ٥٤٨ هـ / ١٠٥٥ م^(٦).

هـ - علم التصوف

ليس من السهل تعريف علم التصوف، لاختلاف علماء الصوفية فى

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون ج١، ص ١.

(٢) البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص ٥١٨.

(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٠٦.

(٤) البغدادى: هدية العارفين، ج٢، ص ٨٤.

(٥) البغدادى: نفسه، ج٢، ص ٨٧.

(٦) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٣٦.

تعريفه^(١)، كما أن التصوف كان له في كل عصر مفهوم خاص^(٢)، على أنه تعرض لتعريف التصوف العشرات من علماء الصوفية، حيث ورد في كتاب طبقات الصوفية (التصوف هو تصفية القلب عن موالفة البشرية والوفاء لله سبحانه وتعالى على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة^(٣)، وورد في الرسالة القشيرية " أن التصوف هو أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت "^(٤).

ويرى ابن خلدون^(٥): أن علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة واصله " أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما خشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري وما بعده، وجنح الناس إلى مخالفة المقبلين على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة " .

ويرى ابن الجوزي^(٦): " أن الصوفية كانوا يختصون بلبس الصوف فقال، "ومن الصوفية من يلبس الصوف، ويحتج بأن الرسول ﷺ لبس الصوف " .

(١) أحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ والصادر، ط ١، نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٣٦، فائزة محمد خاطر: قضايا الزهد والتصوف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥.

(٢) مريزن عسيري: الحياة العملية في العراق، ص ١٥٦.

(٣) السلمى: أبي عبد الرحمن ت ٤٢١هـ/١٠٢١م، طبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصي، ط ٢، مؤسسة دار الشعب ص ١٥٩، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(٤) القشيري: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن ت ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، الرسالة القشيرية، تحقيق د/ عبد الحلیم محمود، د/ محمود بن الشريف، جزءان، دار المعارف، القاهرة، بدون، ج ٢، ص ٤٤١.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ج ٣، ص ٥٩، ٦٠.

(٦) ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م، تلبس إبليس، دراسة وتحقيق وتعليق د/ السيد الجميلي، دار الريان للتراث، القاهرة، بدون، ص ٢٧٩.

ويرى ابن خلدون أيضا^(١): " أن الصوفية كانوا يختصون بلبس الصوف فقال عنهم " وهم مختصون بلبسهم، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف"، ويرى القشيري غير ذلك، فيقول^(٢): " إذا تصوف لبس الصوف، ولكنهم لم يختصوا بلبس الصوف".

كان نتيجة لظهور السلاجقة في القرن الخامس الهجري أثره في ازدياد نفوس التصوف في إيران وخراسان^(٣)، أكثر من ذي قبل، مما أدى إلى انتشار وجهة نظر الصوفية المتشائمة بالنسبة للحياة المادية والدينية^(٤)، وكانت مجالس الوزير نظام الملك الطوسي ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م، مأهولة بالأئمة والزهاد^(٥)، وانتشرت في عهده الزوايا، والأربطة، والخواتق، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح إقليم خراسان مقرا للصوفية.

ولقد تطور علم التصوف، وانتشرت الطرق الصوفية، وكان لكل منها شيوخها ومؤسسوها التي تسمى الطريقة باسمهم، الذين كان لهم بدورهم خلفاء أو شيوخ، وانتشرت كل واحدة من هذه الطرق انتشارا واسعا^(٦)

ولقد ظهرت عند العلماء والشعراء والكتاب المتصوفة الخراسانيين عقائد الصوفية بأحلى مظاهرها في آثارهم المنظومة والمنشورة، ونظموا إحساساتهم الدقيقة في عباراتهم الرقيقة كذلك، وأشهر هؤلاء في العصر السلجوقي الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير بن محمد بن أحمد الميهني ت ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م، طاف بلاد خراسان، لدراسة علوم الدين، ثم لم يلبث أن ترك دراسته واعتنق الصوفية، ومارس الرياضة الصوفية فترة طويلة، وانتهى به الأمر إلى أن أصبح من كبار

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص ٦٠.

(٢) القشيري: الرسالة، ج٢، ص ٤٤٠.

(٣) بطروشوفسكى: الإسلام في إيران، ترجمة د/ السباعي محمد السباعي، ط٢، نشر دار الزهراء، ١٤١٢هـ/١٩٩٣م، ص ٣٣٤.

(٤) نظام الملك: سياسة تامة، ص ٥.

(٥) بطروشوفسكى: الإسلام في إيران، ص ٣٣٤.

(٦) بطروشوفسكى: الإسلام في إيران، ص ٣٣٨.

مشايخ وشعراء الصوفية المعروفين في العصر السلجوقي، وتوفى في موطنه ميهنة سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م^(١).

ولقد تتلمذ في صوفيته على يد كبار مشايخ عصره أمثال الشيخ أبي الفضل السرخسى، وغيره، ولبس خلعة الطريقة على يد الصوفى الكبير أبى عبد الرحمن السلمى ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م، ولكنه بلغ منزلة خاصة بين هؤلاء، حتى أصبح من أشهر مشايخ الصوفية في خراسان، بل ومن أشهر شعراء الرباعيات الصوفية، التي حيت الأفكار الصوفية، والبستها أطيب حلة^(٢).

ومن أعلام التصوف في العصر السلجوقي أبو القاسم القشيري ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م، وصنف الرسالة القشيرية في التصوف، وهي الأربعة وخمسين بابا، وثلاثة فصول، وهي عمدة في هذا العلم^(٣).

أبو إسماعيل الأنصارى شيخ الإسلام، عبد الله بن محمد بن على الهروى الصوفى ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م، وكان شيخ الصوفية بخراسان، وصنف عدة مصنفات في التصوف^(٤) منها "ذم الكلام" وهو مخطوط محفوظ بالمتحف البريطانى، وكتاب "منازل السائرين" وتوجد منه نسخ متعددة في مكتبات أوروبا^(٥).

ومن علماء الصوفية أيضا أحمد بن أبى الحسن على بن محمد بن جرير الخراسانى الصوفى ت ٥٣٦ هـ / ١٠٤٣ م، ومن تصانيفه "أنس المستأنسين"، "وأنيس التأنيس"، "سراج السائرين" في ثلاث مجلدات، وكتاب الاعتقادات، "التذكيرات"، "مفتاح النجاة" وغير ذلك^(٦).

(١) إدوارد بروان: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة وتعليق أحمد كمال الدين حلمى، ط ١، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، ١٩٩٦، ج ١، ص ٣١٣، ٣١٤، إسعاد عبد الهادى: فنون الشعر، ص ١٧١.

(٢) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب، ص ٧٢.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون ج ١، ٨٨٢.

(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٣٦٥، ٣٦٦.

(٥) إسعاد عبد الهادى: فنون الشعر، ص ١٨٧.

(٦) البغدادى: هدية العارفين، ج ١، ص ٨٣.

و - علم التوحيد

اعلم أن التوحيد دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله^(١)، قال تعالى " لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره " ^(٢).

ومن أشهر علماء التوحيد في إقليم خراسان في العصر السلجوقي شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م، ومن مصنفاته " منازل السائرين " " مجالس التذكير " ^(٣)، وله بالفارسية أشعارا ورباعيات غاية في العذوبة أشهرها " مناجاة " ^(٤)، وصنف بالفارسية أيضا " زاد العاقبة " ، و " أسرار " بالفارسية أيضا ^(٥).

-
- (١) ابن أبي العز الحنفى: صدر الدين على بن على بن محمد بن أبى العز ت ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م، شرح العقدي الطحاوية فى العقيدة والسلفية، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون، ص ١٢ .
- (٢) سورة الأعراف: الآية ٥٩ .
- (٣) ابن رجب الحنبلى: طبقات الحنابلة، ج١، ص ٥١ .
- (٤) إسعاد عبد الهادى: فنون الشعر، ص ١٨٧ .
- (٥) النظامى العروضى: جهاز مقاله، ص ١٧٧، ١٧٨ .

٢ - العلوم الأدبية واللغوية:

عندما فتح المسلمون إقليم خراسان، وبدأ انتشار الإسلام بين السكان، أخذوا في تعلم اللغة العربية، التي هي لغة القرآن، مما أضرهم إلى تعلم النحو، لإصلاح لغتهم الأصلية، وعندما بدأ العلماء المسلمون في تفسير القرآن احتاجوا إلى ضبط المعانى والألفاظ، وتفهم أساليب عباراته، مما جعلهم يبحثون في أساليب العرب وأقوالهم وأمثالهم فجرهم هذا إلى تعلم العلوم الأدبية من نحو وبلاغة، وأدب، وشعر وغيره من هذه العلوم التي كانت تدرس في المؤسسات العلمية، مما ساعد على ظهور علماء أجلاء في مختلف أنواع العلوم الدينية والأدبية، مما أدى إلى إنتاج العديد من المؤلفات الأدبية الكثيرة التي ساهمت بدورها في تطور الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي.

أ - علم اللغة:

حظيت اللغة العربية وعلومها المختلفة بعناية كبيرة جدا منذ أن شرفها الله تعالى، بأن أنزل القرآن الكريم بها، لذلك نرى أن أهل هذه اللغة، قد اهتموا بها كثير الاهتمام، فأرخوا لها، وجمعوا واستنبطوا منها الأصول.

وفي ذلك يقول ابن خلدون^(١): أن هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربى في الحركات المسماة عند أهل النحو بالأعراب واستنبطت القوانين لحفظها، ثم استمر ذلك الفساد بملازمة العجم، ومخالطتهم حتى تآدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم ميلا مع هجئة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمروا كثير من أئمة اللسان لذلك ". وكان أكثر المشتغلين في جمع اللغة "العجم" لحاجتهم إلى ذلك أكثر من العرب^(٢).

(١) المقدمة: ج٣، ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) جورجى زيدان، تاريخ التمدن، ج٣، ص ٨٧.

وكان لعلماء خراسان وأدباؤها نتاج لغوى كبير أثر في تطور اللغة في المدن الإسلامية عامة، وإقليم خراسان خاصة.

ومن أشهر علماء اللغة: أبو عبد الله الحسيني بن أحمد الزوني ت ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م، وكان من أشهر علماء خراسان في اللغة وله "المصادر" في اللغة، "شرح سبعا معلقة"، "ترجمان القرآن" (١).

واشتهر أيضا عبد الملك بن علي المؤذن الهروي ت ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م وله "المحيط في اللغة" (٢).

ومن اللغويين أبو الفضل الميداني النيسابوري ٥١٨هـ / ١١٢٦م ومن مصنفاته "غريب اللغة" و"المصادر في اللغة" (٣)، "الساماني في الإسامي" (٤).

ومن اللغويين أيضا أبي جعفر أحمد بن علي البيهقي المعروف بجعفر: ت ٥٤٤هـ / ١١٥٢م، ومن مصنفاته "ينابيع اللغة" (٥) "تاج المصادر في اللغة" وهو مصنف جمع فيه مصادر القرآن، ومصادر الأحاديث، وجردها عن الأمثال والأشعار واتبعها الأفعال التي تكثر في دواوين العرب (٦).

ب - علم النحو:

دعت الفتوح الإسلامية إلى الاختلاط بالأعاجم، مما دعى إلى فساد اللغة، خصوصا في قراءة القرآن، فاحتصوا بحاجة شديدة إلى ضبط قواعد اللغة (٧)، وظهرت الحاجة إلى علم النحو، إذ به تتبين أصول المقاصد بالأدلة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الأفادة (٨).

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٣، ص ١٦٢١.

(٣) البغدادي: هدية العارفين، ج ١، ص ٨٢.

(٤) الأنباري: نزهة الألباء، ص ٢٨٨.

(٥) البغدادي: المصدر السابق، ج ١، ص ٨٤.

(٦) حاجي خليفة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٩.

(٧) جرجي زيدان: تاريخ التمدن، ج ٣، ص ٨٥.

(٨) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٢٧٩.

وأول من وضع النحو هو أبو الأسود الدؤلى ظالم بن عمر^(١)، ويقول ابن خلكان^(٢)، قيل أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وضع له الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم وفعل وحرف، ثم رفعة إليه وقال له تمم على هذا. وإنما سمي بالنحو لأن أبا الأسود قال: أستأذنت على بن أبى طالب رضى الله عنه، أن أضع نحو ما وضع، فسمى بذلك نحو والله أعلم^(٣).

ولقد تطور هذا العلم فى سائر البلدان الإسلامية، وخاصة إقليم خراسان.

ومن أشهر علماء النحو: محمد بن احمد المعمورى البيهقى ت ٤٨٥هـ / ١٩٢م، وصنف كتاب فى النحو، وكتاب فى التصريف^(٤).

أبو الحسن النيسابورى ت ٥١٦هـ / ١١٢٤م، وله تصانيف مفيدة فى النحو^(٥).

أحمد بن محمد بن أحمد بن احمد الميدانى النيسابورى، أبو الفضل الإمام الفاضل ت ٥١٨هـ / ١١٢٦م، الأديب النحوى اللغوى، وصنف "الأنموذج فى النحو"، "نزهة الطرف فى علم الصرف"^(٦) و"الهادى الشادى"، فى النحو أيضا^(٧).

(١) اليافعى: عفيف الدين عبد الله بن أسعد ت ٧٦٨هـ / ١٢٧٦م، مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد الله الجبورى، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٤م، ج ١، ص ٢٣١، ٢٣٢، على النجدى ناصف: تاريخ النحو، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص ٨.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٥٣٥، احمد أمين: ضحى الإسلام، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٦١.

(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٥٦٨، على محمد عمر: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٣٣٠.

(٤) البغدادى: هدية العارفين، ج ١، ص ٧٧.

(٥) البغدادى: نفسه، ص ٦٩٦.

(٦) السيوطى: بغية الوعاة، ج ١، ص ٣٤٢.

(٧) الأنبارى: نزهة الألباء، ص ٢٨٨.

ج - علم الأدب (الشعر - النثر)

حظى الأدب بالناية والاهتمام فى العصر السلجوقى، فقد حفلت هذه الفترة بأدباء أجلاء أجراء، ألفوا فى فنون الأدب وبلاغته وتاريخه.

وكان الأدب يحوى فروع اللسان العربى متداخلة " فكان المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهى الإجابة فى المنظوم والمنثور على أساليب العرب، ومناحيهم من شعر على الطبقة وسجع متساو فى الإجابة ومسائل من اللغة والنحو مثبتة فى أثناء ذلك، متفرقة، يستقرى منها الناظر الغالب معظم قوانين العربية. والمقصود بذلك كله لا يخفى على الناظر فيه، شىء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغته" (١).

وعندما أخذ المسلمون فى تفسير القرآن احتاجوا إلى ضبط معانى ألفاظه، وتفهم أساليب العرب وأقوالهم وأشعارهم وأمثالهم (٢). وفى ذلك يقول ابن خلدون (٣) الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف يريدون م علم اللسان، والعلوم الشرعية من حيث متونها فقط، وهى القرآن والحديث، غدا لا مدخل لغير ذلك من العلوم العرب، إلا ما ذهب إليه المتأخرون". وهكذا كان القرآن منبعا لثقافة روحية وعقلية جديدة (٤).

كان الأدب فى العصر السلجوقى المرآة التى الوضع الاجتماعى والسياسى والفكرى، كما كان النتاج الأدبى الضخم فى هذا هو الذى أظهر الوضع الثقافى والعلمى والفكرى والأدبى (٥).

كما أن السلاجقة شجعوا العلماء، وانفقوا على الأدباء العرب والفرس على السواء.

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج ٣، ص ٢٩٤، ٢٩٥، حاجى خليفة: شف الطنون، ج ١، ص ٥٥.

(٢) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، ج ٣، ص ٨٧.

(٣) المقدمة: ص ٢٩٥.

(٤) أحمد أمن: ضحى الإسلام، ج ١، ص ٣٢٨.

(٥) مريزى عسىرى: الحياة العلمية فى العراق، ص ٢٧٦، ٣٧٧.

ومن أدباء خراسان أبو الحسن الأديب عبد الله بن أحمد بن الحسين ت
٤٧٥هـ / ١٠٨٢م، ومن مصنفاته "شرح ديوان المتنبي"، وشرح الحماسة"،
و"شرح أبيات أمثال عبدة"^(١).

والأديب أبو منصور عبد الله بن سعيد بن مهدي الخوافي ت ٤٨٠هـ/
١٠٨٧م، وكان أديبا فاضلا، كثير الرواية، وأكثر رواياته كتب الأدب، وكان قد
جمع كتباً من كل فن^(٢).

ومن علوم الأدب (الشعر والنثر)

١ - علم الشعر

الشعر صناعة بها الشاعر يؤلف، المقدمات المهمة، والقياسات المنتجة على
وجه يجعل المعنى الصغير كبيرا، والكبير صغيرا، ويرد الحسن في زى القبيح،
ويجلو القبيح في صورة الحسن^(٣).

تعددت أنواع الشعر السلجوقي، ووجدنا شعراء عربان وشعراء فرسا، وهؤلاء
الفرس هم الذين أمدوه بكثير من ألوان الخيال الخصب، ودقة التعبير وعمق
الإحساس، كما أضافوا إليه مجموعة من الآراء الجدلية التي اكتسبها من الحياة
الإسلامية، ولكن يلاحظ أن أسلوب الشعر في بداية العصر السلجوقي كان
خاضعا لتأثير الأسلوب الشعري الذي ساد في العصر الغزنوي، كما كان بعض
شعراء السلاجقة يجاملون إحياء أسلوب، ومع ذلك كان شعراء العصر السلجوقي
بتأثير عوامل أدبية وكريه جديدة، أصحاب ابتكارات خاصة تعد سمة بارزة لتطور
الأسلوب في أشعار عهدهم^(٤).

ومن شعراء خراسان من أصحاب الدواوين الشعرية على بن عبده
النيسابوري ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م، وكان له ديوان شعر^(٥).

(١) السيوطي: بغية الوعاة، ج ٢، ص ٢٩.

(٢) الأنباري: نزهة الأبناء، ص ٢٦٢.

(٣) النظامي العروضي: هجار مقاله، المقالة الثانية، ص ٣٤.

(٤) ببح الله صفا: تاريخ أبيات در إيران، ج ٢، ص ٣٣٥.

(٥) البغدادي: هدية العارفين، ج ١، ص ٦٩٦.

ومن شعراء خراسان المقربين من الوزراء، الباهرزى ت ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م، وكان مقربا من الوزير أبى نصر الكندرى ت ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م، وكان يحضر مجلسه ومن مصنفاته "خريدة القصر وعصره أهل العصر" وتناول فيه شعراء عصره^(١) الأمير المعزى النسابورى ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م، وكان صاحب حظوة فى بلاد السلطان سنجر المتوفى ٥٥٢هـ / ١١٥٧م، وقد نال لقب "أمير الشعراء" فى بلاط سنجر^(٢)، ومن مؤلفات ديوان شعر ملئ بالقصائد والغزليات والرباعيات^(٣).

ومن شعراء الرباعيات أيضا أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام، النيسابورى، وكان معاصرا للسلطان ملكشاه، وأدرك عهد أبنائه بركياروق، وسنجر (٤٨٥ - ٥٢٢هـ / ١٠٩٢ - ١١٥٧م)^(٤) وترجع شهرة الخيام إلى رباعياته التى اشتهرت فى العالم اجمع، وترحمت إلى اغلب لغات العالم^(٥).

ومن شعراء خراسان المشهورين فى العصر السلجوقى أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى، ت ٥٠٧هـ / ١١١٣م، وقد أحب الأبيوردى الشعر والأدب، وألم من كل علم بطرف، وكان أوحد زمانه فى علوم عديدة، كالنحو واللغة والأدب^(٦).

٢ - علم النثر:

كان الشعر يشغل مكانة مهمة بين علوم اللسان العربى السائدة فى إقليم خراسان، إلا أنه كان تقدير والإجلال للكلام النثور، إلى جانب تقديم الشعر، وكانت ملكة الخطابة تعتبر شيئا آخر مخالفا للملكة الشعرية^(٧).

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدياء، ج ٤، ص ١٧ : ٢٢.

(٢) رضا زاده شفيق: تاريخ الأدب، ٨٩، ٩٠.

(٣) أحمد كمال الدين: السلاجقة، حاشية ٢، ص ٣٢٢.

(٤) النظامى المعروضى: جهاز مقالة، ص ٦٩، ٧٠.

(٥) أحمد كمال الدين حلمى: عمر الخيام، ص ٥٣٥.

(٦) ممدوح حقى: الأبيوردى ممثل القرن الخامس فى برلمان الفكر العربى، ص ٩١ - ٩٢،

أحمد كمال الدين: السلاجقة، ص ٣١١، ٣١٢.

(٧) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ٤٤٤.

وقد زاد الإسلام ملكة الخطابة بلاغة وحكمة بما كان تيوخاه الخطباء من مجارة أسلوب القرآن، واقتباس الآيات القرآنية، وكانت الخطابة أوسع مجالاً لهذا الاقتباس من الشعر^(١)، وكانت طريقة كتابة الرسائل للتمرين على إظهار صورة البلاغة وأساليبها^(٢)، وصورة البلاغة هنا كما يقول ابن خلدون^(٣) "مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه" ويقول ابن خلدون أيضاً^(٤) "أن صناعة الكلام نظماً ونشراً إنما هو فى الألفاظ لا فى المعانى".

ولقد ظهرت وتطورت دواوين الرسائل والإنشاء فى هذا العصر، كما كان يمتاز العصر السلجوقى بظاهرة فريدة وهى أنه أول عصر يظهر فيه أول شعراء الصوفية، وأول عصر يظهر فيه أول مؤلفات عرفانية نثرية باللغة الفارسية^(٥).

ومن الأدباء فى علم النثر: أبو حامد محمد بن إسحاق بن على داود الزوزنى البخارى ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م، وكان له طريقة فى الهجاء فى النظم والنثر لم يسبق لها^(٦).

والأديب البارع على بن أحمد النيسابورى، صاحب النظم والنثر الجارئين فى سلك السلاسة، ت ٥١٣هـ / ١٠٢١م^(٧).

٣ - المقامة^(٨):

تطور فن آخر من فنون الأدب العربى، هو فن المقامة، وأول من طور المقامة

(١) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، ج ٣، ص ١١٥.

(٢) آدم متز: الحضارة، ج ١، ص ٤٤٤.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ج ٣، ص ٣١٣.

(٤) ابن خلدون: نفسه، ص ٣٤٤.

(٥) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة، ص ٢٦٠.

(٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٢٨ وما بعدها.

(٧) السيوطى: بغية الوعاة، ج ٢، ص ١٤٢.

(٨) المقامة: الراجح أن هذه الكلمة اسم مكان من "أمام" والمعنى أنها موضع للإقامة، ثم انتقل من هذا المعنى هذا المعنى، فأصبحت دالة على حديث شخص، فى المجلس سواء أكان قائماً أم جالساً. شوقى ضيف: فنون الأدب العربى (الفن القصصى) المقامة، ط ٧٧، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص ٧، ٨ مريزن عسىرى: الحياة العلمية، ص ٣٩٤.

فى الموعظ فى هذا العصر هو القاسم على بن محمد بن عثمان الحريرى ت
٥١٦هـ - ١١٢٤م، وهو أحد أئمة الأدب واللغة، فاق أهل زمانه بالذكاء والفصاحة
وأنشأ المقامات، وسار فى الآفاق ذكرها وانتشرت، وكتبت بها النسخ المتعددة^(١).

ومن أدباء خراسان الذين ألفوا فى المقامات خلال العصر السلجوقى حميد
الدين البلخى ت ٥٥٩هـ / ١٠٦٧م وله مقامات حميدى "باللغة الفارسية وهى
عبارة عن ٢٣ مقامة شهورة"^(٢).

كذا كانت العلوم الأدبية واللغوية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعلوم الدينية
الشرعية"، لاحتياج العلماء وخاصة العم لتعلم اللغة العربية، التى هى لغة
القرآن، وتعلم النحو والأدب لاحتياجهم لضبط المعانى والألفاظ أساليب عبارات
القرآن الكريم، مما دفعهم إلى تعلم العلوم الأدبية واللغوية من لغة، ونحو،
وأدب، وشعر، وغيره من تلك العلوم.

(١) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب، ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) البغدادى: هدية العرفين، ج ١، ص ٢٣٤.

ثانياً: العلوم العقلية

تضافرت عدة عوامل في العصر السلجوقي لتأخذ بيد العلوم العقلية إلى طريق الضعف، ومن هذه العوامل، الاهتمام بالوضع السياسي والاجتماعي، وما كان يلقاه علماء الدين من تأييد، وما كانوا عليه من قوة ونفوذ، وتعصب الفقهاء والعلماء والسلاطين والوزراء بل الخلفاء، وذوى الجاه بشدة لعقائدهم المذهبية^(١).

ومن المعروف أن العلوم العقلية وعلى رأسها الفلسفة، قد قوبلت بتعصب ومقارنة شديدين، وكان علماء السنة والحديث والمعتقدين بظواهر الأحكام والآيات من بين السلمى يرون في كل ألوان البحث والاستدلال واللجوء إلى العقل لحق بالمعضلات الدينية خسارة كبيرة تزيد عن الحد المألوف، ومن جملة العلوم التي حوربت، العلوم الفلسفية والحمية^(٢)، وقد بدا ذلك منذ عهد الخليفة العباسي المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٦ - ٨٦١م) الذي أصدر أوامره القاسية باضطهادهم^(٣)، وتسبب ذلك في الصاق تهمة الكفر الزندقة بالرياضيين، والفلاسفة، والمتكلمين، والمعتزلة، ونظائره، وكان ذلك فرصة لظهور الأشعرى والأشاعرة^(٤).

وحل المفسرون والمحدثون والفقهاء والمتكلمون من الأشعرية خاصة في العصر السلجوقي مكان الشخصيات البارزة في الفلسفة والكيمياء، والطب، الرياضيات، وكان علم العلوم العقلية ممنوعاً في المدارس النظامية في خراسان وغيرها، ولم يكن يدرس بها سوى العلوم الدينية والأدبية^(٥)، إلى جانب ازدياد الصوفية في العصر السلجوقي، التي خالفت كل العلوم واعتبرتها حجاب الحقيقة^(٦)، كل ذلك أدى إلى أن قل رونق العلوم العقلية ورواجها، وقل اهتمام طلاب العلم بها.

(١) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة، ص ٣٨٩.

(٢) أحمد كمال: نفسه.

(٣) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ص ٤٣.

(٤) أحمد كمال: السلاجقة، ص ٣٨٩.

(٥) حسين أمين: المدرسة النظامية، ص ٢٣١.

(٦) أحمد كمال: السلاجقة، ص ٣٩٠.

وعلى الرغم من ذلك من لك جدت الكثير العلوم العقلية، وبرع فيها علما،
إلا أنهم لم يكونوا بعدد وكثرة علماء العلوم النقلية، ومن أهم العلوم العقلية.

١ - علم الطب

عرف ابن أبي أصيبعة صناعة الطب^(١) فيقول: أن صناعة الطب من أشرف
الصنائع، وأربح البضائع، وقد ورد تفصيلها في الكتب الآلهية والأوامر الشرعية،
حيث جعل على الأبدان قريبا بعلم الأديان، قال رسول الله ﷺ: " لكل داء
دواء"^(٢) وهذا حديث جامع للطب.

ويتجلى اهتمام المسلمون بنشر الثقافة الطيبة في إنشاء البيمارستانات، إعداد
المكتبات الطيبة، كما كانوا يعقدون المؤتمرات الطيبة في مواسم الحج، حيث يعرض
كل عالم نتائج بحثه، وأصبحت خراسان من أهم المركز الطيبة في المشرق^(٣).

وعلى الرغم من أن علما العصر السجلوقى لا لم يتقدموا تقدما ملحوظا في
الطب، ولم يتجاوزا ما أحرزه الأطباء السابقون على عهدهم، إلا أنهم تركوا لنا
مؤلفات شهيرة في الطب، كتبوا جانبا منها بالفارسية، وبذلوا خدمات جليلة لهذا
العالم، عن طريق ضبط الكثير من المصطلحات الطبية بالفارسية المتداولة في ذلك
العصر وإثباتها وتسجيلها^(٤)، ولقد كانت الحكومات فى العصر الإسلامى تمنح
شهادات رسمية للأطباء مزاوله الطب^(٥) وكان على من يريد مزاوله الطب أن يكون
على علم بعدد من المؤلفات الطيبة عددها النظامى العروض:

حيث ذكر عددا من هذه المؤلفات فى علم الطب فيقول^(٦):

وعلى الطبيب أن علم الطب على عدد من المؤلفات الطيبة " مثل " الذخيرة

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج ١، ص ٧.

(٢) صحيح مسلم، ج ٧، حديث رقم ٩٦ / ٢٣٠٤، ص ٤٤٧.

(٣) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٥٢٣.

(٤) النظامى العوضى: ص ٨٥ - ٩٣، أحمد كمال الدين: السلاجقة، ص ٣٩٧.

(٥) على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب، ط ١، مؤسسة الرسالة،
بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٤٢.

(٦) النظامى العوضى: جهاز مقالة، المقالة الرابعة، ص ٧٦.

الخوارزمشاهية فى الطب" ، وهى بالفارسية اثنى عشر مجلد ألفه زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن حسن بن أحمد الحسنى الجرجانى المروزى المقيم بمرود حتى توفى بها سنة ٥٣١هـ / ١١٣٦م^(١).

ومن المصنفات الطيبة للروزى كتاب "الأغراض فى الطب" فارسى فى مجلدان^(٢)، وهو كتاب فى علم الطب باللغة الفارسية ألفه، ولخصه عن كتابه السابق، ورتبه على ست وعشرين مقالة فى كل منها أبواب كثيرة، أوله أما بعد حمد الله سبحانه وتعالى. إلخ^(٣) وله أيضا "كتاب فى الطب باللغة الفارسية"^(٤) وله كتاب "يادكار" فى الطب الفارسى فى مجلد واحد^(٥)، وله "زبدة الطب" وهو مجلد يشتمل على حقائق الأبدان الظاهرة ودقائقها الباطنية^(٦).

ويقول ياقوت الحموى عنه^(٧): كان عارفا بالطب جدا ألف فيه تصانيف حسنة مرغوب فيها باللغة العربية والفارسية، انتقل إلى خورازم وأقام بها، ثم عاد إلى مرو فأقام بها، وكان من أفراد زمانه، وتوفى بها سنة ٣٥١هـ / ١١٣٦م.

ومن مشاهير الأطباء فى هذا العصر: أبو القاسم عبد الرحمن بن على بن أحمد بن أبى صادق النيسابورى، واكن طبيب فاضل بارع فى العلوم الحكمية، كثير الدراية للصناعة الطيبة ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م، بعد أن ترك الكتب منها "تفسير منافع الأعضاء" لجالنيوس وشرح "المسائل فى الطب" لحنين، شرح فصول أبقرات" ويعد من أفضل الشروح^(٨).

(١) النظامى العروض: جهاز مقالة، ص ٧٦.

(٢) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء، ج ٣، ص ٤٨.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ١٣٠.

(٤) النظامى المعروضى: جهاز مقالة، حواشى المقالة الرابعة، حاشية ١٤، ص ١٦.

(٥) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء، ج ٣، ص ٤٨.

(٦) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٦٥٢.

(٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٥.

(٨) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء، ج ١، ص ٣٢، ٣٣.

ومن مشاهير الأطباء فى العصر السلجوقى:

أبو سعيد محمد بن على المتطبب ت ٥٣٦هـ / ١١٤١م، أقام ببلخ، وقضى عمره فى التصانيف الطبية، وله تصانيف كثيرة، ومن قوله فى بعض تصانيفه: إن التصانيف فى الصناعات الطبية مبسطة ومختصرة، فلكل جامع نظم وترتيب مفرد، ولكل غرض صحيح ليس لسواه^(١).

والطبيب على بن حمد الحجازى المقيم ببهيق، وكان طبيبا وقورا، فيه آداب الأطباء مجموعة، وله رسائل فى الطب والمعالجات، وقد صنف باسم السلطان السلجوقى سنجر ٥٥٢هـ / ١١٥٧م كتابا "مفاخر الأتراك" كما صنف لآتسز حاك خوارزم المتوفى ٥٥١هـ / ١١٥٦م كتابا فى "الحكمة"، وتوفى سنة ٥٤٦هـ / ١١٥١م ومن تلاميذه عمر الخيام^(٢).

ومن أطباء خراسان الذين مارسوا الطب أيضا "أبو على المروزى الحسن بن على بن محمد ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م، وكان عالما بالطب وعلوم الأوائل، وغلب عليه اسم الطب، وصنف فيه، وكان له دكان بمرور يجلس فى للتطبب^(٣).

ومن أطباء خراسان أيضا عمر الخيام تلميذ على بن محمد الحجازى الطبيب، وتمكن الخيام من علاج السلطان سنجر السلجوقى ٥٥٢هـ / ١١٥٧م، من الجدرى، إلا أنه لم يستمر فى مزاولة الطب لانشغاله بالعلوم الأخرى^(٤).

ويتضح مما سبق أن نظرة الناس فى ذلك العصر إلى الأطباء كانت ملؤها الجلال والإكبار، إذ الطبيب حينذاك ينبغى أن يكون ملما بأصناف العلوم^(٥)، كما أن أكثر علماء العصر، لم يكتفوا بترجمة الكتب السابقة وشروحها بل تخطوا إلى التأليف حيث تمكن الأطباء من التأليف أكثر من الترجمة^(٦)، كما يتضح جليا أنه

(١) البيهقى: تاريخ حكما الإسلام، ص ١٨٩.

(٢) البيهقى: نفسه، ص ١٥٨.

(٣) السيوطى: بغية الوعاة، ج ١، ص ٤٩٤.

(٤) النظامى العروضى: جهاز مقالة، ص ٨٧ ك ٩٣، أحمد حامد الصراف: عمر الخيام فى

الأدب الإيرانى، بغداد، ١٩٣٥م، ص ٦.

(٥) محبوبة: نظام الملك، ص ١٦٨.

(٦) محمد رجائى: صفحات من تاريخ الطب، ط ١، نشر الزهراء للإعلان العربى،

١٤٠٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٦٣.

كانت للحضارة الفارسية تأثيرها الواضح على الحضارة العربية، وبذلك تقترب هذه الحضارة من الحضارة العربية^(١).

٢ - علم الكيمياء

هو علم ينظر فى المادة التى يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة، ويشرح العمل الذى يوصل إلى ذلك فيتصفون المكونات كلها بعد معرفة أمزجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة المستمدة لذلك حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والشعر والبيض فضلا عن المعادن ثم يشرح الأعمال التى يخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل^(٢).

ويلخص هذا التعريف حاجى خليفة^(٣) فيقول: هو علم يعرف به سلب الجواهر المعدنية وجلب خاصية جديدة لها.

هذا وقد أشار العالم أبو عبد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمى المتوفى^(٤) (٣٦٦هـ / ١٩٧٦م) إلى أسماء بعض الأجهزة والأدوات والآلات الكيميائية التى استخدمها علماء العرب والمسلمين فى إقليم خراسان وغيرها من المدن والأقاليم الإسلامية فى علم الكيمياء ومن بين هذه الآلات:

الرابط: وهو الذى يفرغ فيه الجسد المذاب من فضة أو هب ويسمى المسبكة وهى من حديد، ومن آلاتهم بوط أبربوط: وهى بوظقة مثقوبة سمن أسلفها توضع على أخرى ويجوز الوصل بينهما بطين ثم يذاب الجسد فى البوظقة ويسمى هذا الفعل الاستنزال.

إن الحديث عن دور علماء الكيمياء، يكاد يكون معدوماً وذلك لأن المصادر لتمدنا بمعلومات عن علماء خراسان فى هذا المجال.

(١) عامر النجار: فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية، ط٣، دائرة المعارف، ١٩٩٤م، ص ٨٠.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ١٩١.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ٢، ص ١٥٢٦.

(٤) الخوارزمى الكاتب: مفاتيح، ص ١٤٦ عمر فروخ: تاريخ العلوم، ص ٢٢٣.

ولقد أشارت المصادر إلى أن البيروني من رواء علم الكيمياء^(١)، وله كتاب الجماهر في معرفة الجواهر يتضمن الكلام في جواهر وأنواعها وما يتعلق بهذا المعنى^(٢). أوله الحمد لله رب العالمين الذي لما توحد بالأزل والبد^(٣)، الخ. وقسم الكتاب إلى مقاليتين الأولى في الجواهر^(٤) تحدث فيها عن الياقوت وأشباه اليواقيت منها والماس، والسنباذج الذي يعاون الماس في الصلابة والحل والحلاء، واللؤلؤ والمرجان، والزمرد وأصنافه، والفيروز، والعتيق، وما إلى ذلك من الأحجار الكريمة ونصف الكريمة والكهرباء والمغناطيس^(٥).

أما المقالة الثانية في الفلزات^(٦): فقد استهلها بالزئبق ثم الذهب والفضة والنحاس والحديد والأسرب، وتحدث عن المركبات أو "الشبه المعمولات والممزوجات بالصفة"، وينتهي الفلزات بالأسفيزوي^(٧) والبتروي^(٨) والطاليقون^(٩). وبالكتاب ملحق لتبيان مناجم الجوار والفلزات^(١٠).

(١) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ص ٢٢٧.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٣، ص ٣٠.

(٣) البيروني: (أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني) ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م، الجماهر في معرفة الجواهر، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون، ص ١.

(٤) البيروني: نفسه، ٣٢: ٢٢٨.

(٥) يمى طريف الخولى: بحوث في تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٥١.

(٦) البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، ص ٢٢٨: ٢٦٧.

(٧) الأسفيزوي: اسم فارسي معناه النحاس الأبيض ويسمى صفرا وذلك بالشبه أو لصفوته.

البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، ص ٢٦٤.

(٨) البتروي: نحاس كسرت حمرة بأسرب ألقى عليه حتى اختلط ومنه تفرع الهواوين والطناجير، وإذا كان الملقى عليه شبيها عليه الصفرة ويسمى شبيها مفرغا يعمل منه المنارات والمسارج. البيروني نفسه، ص ٢٦٦.

(٩) الطاليقون: يقول البيروني: يجي ذكر الطاليقون في الكتاب من غير إيضاح، ولم أتحققه، ولكني سمعت أن العين تمرد وتفسد بالنظر في مرآة معمولة من الطاليقون، وقيل: أنه جنس من النحاس إلا أن الأوائل نسبه من الأدوية الحادة السامة التي تضر باللحم والدم إذا خالطها. البيروني/ نفسه، ص ٢٦٧.

(١٠) يمى الخولى: بحوث في تاريخ العلوم، ص ١٥١: ١٥٢.

ويمكن التعرف على خصائص الطريقة العلمية عند البيروني وموقفه في الكيمياء الهندية ومن علم الكيمياء بوجه عام من تحليل كتابة عن الهند^(١).

وعلى أية حال فإن البيروني الخوارزمي كان اليد الطولى في عصره في تطور هذا العلم بما يخدم علم الطب، وذلك من خلال تجاربه الكيميائية، ودراسته للفلزات، والأحجار الكريمة والأعشاب والمركبات، مما كان له الثمر في علم الصيدلة، هذا العلم الذى يبحث فى أصول الأدوية من حيث تركيبها ومعرفة خواصها الكيميائية والطبيعية^(٢)، وهو ما سوف نتحدث عنه فى علم الصيدلة.

٢ - علم الصيدلة

علم الصيدلة فرع من فروع الطب، وهو علم يبحث فيه عن تمييز المتشابهات من أشكال النباتات من حيث إنها صينية أو هندية أو رومية وعن معرفة زمانها صيفية أم خريفية وعن تمييز جيدها عن الرديء، وعن معرفة خواصها والغرض والفائدة منه ظاهر^(٣).

وبذلك كان علم الصيدلة فى بادئ الأمر تابع لعلم الطب، غير مستقل عنه إذا كان الطبيب فى الوقت صيدلانياً. وكان له أعوان يساعده فى عمله، فيجمعون له الأعشاب الطبيعية^(٤)، إلا أن الاهتمام الكبير الذى لقيه إحياء العلوم وتقدمها من الخلفاء العباسيين، وما كان من تشجيعهم للقائمين بها وبخاصة فى علوم الصيدلة والطب، وبلك تطور الصيدلة^(٥).

إن الحديث عن دور علماء خراسان فى مجال علم الصيدلة، يكاد يكون معدوماً، وذلك المصادر لم تمدنا بمعلومات عن علماء خراسان فى هذا المجال.

(١) مصطفى لبيب عبد الغنى: دراسات فى تاريخ العلم عند العرب، ص ٢٠٠.

(٢) توفيق الطويل: فى تراثنا العربى، ص ١١١.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ٢، ص ١٠٨٥.

(٤) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ص ٢٢١.

(٥) عبد العظيم حنفى صابر، عبد الحليم مستصر: الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند

العرب، ج ٢، موجز تاريخ الصيدلة، ص ٣١٤.

ولقد أشارت المصادر إلى أبي الريحان البيروني محمد بن أحمد ت
٤٤٠هـ / ١٠٤٨م، وله كتاب "الصيدلة في الطب" استقصى فيه معرفة ما هيأت
الأدوية ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدمين، ومات تكلم كل واحد من الأطباء
وغيرهم فيه، وقد رتبته على حروف العجم^(١).

وقد ألفه في أواخر حياته ويعتبر هذا الكتاب ذخيرة علمية ومرجعا هاما في
مجال الصيدلة^(٢).

وكان أسلوب البيروني الذي أتبعه في تأليف كتابه بالنسبة لوصف عقار في
أن يقوم بدراسته تحت اسمه العربي، ثم يبحث مترادفاته في اللغات الأخرى، ثم
يقوم أخيرا بتحديدته^(٣).

وكان يوجد بخراسان بعض العقاقير التي توصف للمرضى مثل عقار كان
ينبت بخراسان يسمى الطرثوث لعلاج المعدة، وكان يدخل في تركيب الأدوية^(٤).
وهكذا وجد الطب العربي في الكيمياء والصيدلة غذاء، زاده حيوية
وخصوبة وثناء^(٥) ومن هذا يتضح أن تطور علم الكيمياء والصيدلة ساعد في تطور
علم الطب.

٤ - علوم الرياضيات:

وتشمل على ثلاثة علوم الأول الحساب والثاني الهندسة والثالث المثلثات.

أ - علم الحساب:

ويعرفه النظامي العروضي^(١٦) الحساب صناعة يعرف بها أحوال أنواع

- (١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣٠.
- (٢) عبد العظيم حنفي صابر، وعبد الحلي منتصر: الموجز، ص ٤٠٢.
- (٣) أحمد سعيد الدمرداش: سلسلة أعلام الإسلام (٢)، البيروني أبو الريحان محمد بن أحمد، ص ٦١: ٦٢.
- (٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص ٢٦٠.
- (٥) توفيق الطويل: في تراثنا العربي الإسلامي، ص ١١٣.
- (٦) جهاز مقالة: المقالة الثالثة، ص ٦٢، لمزيد من التفاصيل راجع ابن خلدون: المقدمة، مج ٣، ص ٩٥، حاجي خليفة: كشف الظنون، مج ٢، ص ٥٧٨، فاطمة محبوب الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، عدة مجلدات، دار الغد العربي، القاهرة، بدون، مج ١٣، ص ٥٦٦ - ٥٦٧.

الأعداد وخصائص كل منها بذاته ونسبة العداد إلى بعضها وتوالدها ثم فروع الحساب من تصنيف وتضعيف وضرب وقسمة وجمع وتفریق وجبر ومقابلة.

فالجبر والمقابلة إذا "صناعة من صناعات الحساب وتدبير حسن لاستخراج السائل العويصة فى الوصايا والموارث والمعاملات والمطارحات وسميت بهذا الاسم لما يقع فيها من جبر فى النقصانات والاستثناءات ومن المقابلة بالتشبيهاً وإلقائها^(١).

وأول من كتب فى هذا الفن محمد بن موسى الخوارزمى^(٢) المتوفى بعد سنة ٣٣٢هـ / ٨٤٦م، وكان مقرباً من الخليفة المأمون ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م^(٣)، وألف كتاباً سماه «الجبر والمقابلة»^(٤)، ويرجع الفضل فى تسمية الجبر بهذا الاسم إلى هذا الرياضى الخوارزمى العظيم^(٥).

والدافع الأساسى وراء ابتكار الخوارزمى للجبر هو علم الميراث الذى أطلق عليه ابن خلدون^(٦)، علم الفرائض وعرفه بأنه "صناعة حسابية فى تصحيح السهام لذوى الفروض فى الوارثات إذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على وراثته أو زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على كله أو كان فى الفريضة إقرار وإنكار من بعض الورثة دون بعض".

ولذلك فقد ابتدع محمد بن موسى الخوارزمى طرقاً جبرية لتسهيل هذا العمل فكتب كتاباً مشهوراً^(٧) باسم "الكتاب المختصر فى حساب الجبر والمقابلة"^(٨).

(١) الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص ١١٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، مج ٣، ص ٩٨، عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٤٨٧.

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج ٤، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٤) ابن الفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٨٨.

(٥) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٩٧.

(٦) ابن خلدون المقدمة، مج ٣، ص ٩٩، حاجى خليفة كشف الظنون، مج ٢، ص ١٢٤٤.

(٧) الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى علم الرياضيات، دار الاعتصام، بدون، ص ٣٤.

(٨) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج ٤، ص ١٦٣.

لقد أشرنا إلى الخوارزمي الذي ظهر في الفترات السابقة للعصر السلجوقي، لأن أعماله أصبحت مصدرا للمعرفة الرياضية في الشرق والغرب لقرون عديدة^(١)، لكن حقيقة الأمر أن الأبحاث والدراسات الرياضية للمسلمين نضجت نضوجا كبيرا فيما تلى ذلك من القرون عصر البيروني ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م فهو من أبرز علماء ومفكرى الإسلام في علم الرياضيات في هذه الفترة^(٢).

ومن علماء خراسان في الحساب والجبر

محمد بن أحمد البيهقي ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وله كتب في الأعمال التي تتعلق بالحساب^(٣).

عمر الخيام، وله رسالة في شرح مشكلات الحساب من مصادرات كتاب إقليدس^(٤)، ورسالة في براهين الجبر والمقابلة مع خمسة ألواح للأشكال كتبها باللغة العربية^(٥)، وتم ترجمتها إلى الفرنسية طبعت بباريس لأول مرة عام ١٨٥١م، وكان لها صداها الطيب في نفوس المشتغلين بهذا العلم^(٦).

وكانت دراسات الخيام في علم الجبر أول محاولة ناجحة لحل المعادلات التكعيبية، وقد ميز منها ثلاث عشر معادلة، ولم يحلها حلا جبريا فحسب، بل حلا هندسيا أيضا^(٧).

ب - علم الهندسة

هو صناعة يعرف بها أصول أوضاع الخطوط وأشكال السطوح المجسمات والنسبة الكلية بين المعايير وما يقدر بها هذه إلى الأوضاع والأشكال^(٨).

(١) الدفاع: نفسه، ص ٣٤.

(٢) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٤٩١.

(٣) البيهقي: حكماء الإسلام، ص ١٨٢.

(٤) أحمد كمال الدين حلمي: عمر الخيام، ص ١٢٢.

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٥٨٤.

(٦) أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٧) أحمد كمال الدين: نفسه.

(٨) النظامي العروضي: جهاز مقاله، المقالة الثالثة، ص ٦٢.

ويقول ابن خلدون^(١) "هذا العلم هو الناظر فى المقادير أما المتصلة كالخط والسطح والجسم أو المنفصلة كالأعداد وفيها يعرض لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزواياه مثل قائمتين ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان فى جهة ولو خرجا إلى غير نهاية، ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان ومثل أن الأربعة المقادير المتناسبة ضرب الأول منها فى الثالث كضرب الثانى فى الرابع وأمثال ذلك".

وهذه الصناعة تسمى باليونانية "جومطريا" وهى صناعة المساحة: وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة وفى الفارسية "انذاره" أى المقادير^(٢).

وقد اهتم علماء المسلمين بالهندسة اهتماما كبيرا. والخطوة الأولى التى اتخذها علماء المسلمين هى ترجمة كتاب إقليدس فى علم الهندسة، وزاد على نظرياته، ويحتوى كتاب إقليدس على خمس عشرة مقالة، منها أربع مقالات فى السطوح الهندسية، ومقالة فى المقادير المتناسبة، وأخرى فى نسب السطوح، وثلاث مقالات فى العدد والتمثيل الهندسى، وخمس مقالات فى المجسمات^(٣). ونقل كتاب إقليدس لأول مرة إلى اللغة العربية فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٧هـ/ ٧٥٤ - ٧٧٥م)، وهو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية واليونانية والأعجمية بالعربية^(٤).

وتطور علم الهندسة عن طريق هذه الترجمات إلى العربية، كما زادت مؤلفاتهم الهندسية، وخاصة فى بداية العصر السلجوقى على يد الرياضى الشهير البيرونى وسوف نعرض مؤلفاته.

(١) ابن خلدون: المقدمة، مج ٣، ص ١٠١.

(٢) الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص ١١٧.

(٣) عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، ص ٦٧، الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات، ص ٥٣.

(٤) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣١٩.

ومن علماء الهندسة

محمد بن أحمد المعمري البيهقي ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وله كتاب المخروطات في الهندسة^(١). والحكيم أبو الفتح عبد الرحمن الخازن، وحصل علوم الهندسة، وكمل فيها، وكان معاصرا للسلطان سنجر، ٥٥٢هـ/١١٥٧م، وكان نقي الجيب عن الأطماع الخسيسة، وبعث إليه السلطان سنجر ألف دينار، فردها إليه وقال: لا أحتاج إليها، ويكفيني كل سنة ثلاثة دنانير^(٢).

ومن العارفين بالهندسية أيضا أبو مضر محمود الضبي الأصفهاني، وكان عالما، عارفا بالهندسة وتوفي بمرور سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م^(٣).

ج - علم المثلثات:

ارتبط علم المثلثات لدى اليونانيين بعلم الفلك، كما قطع الهنود شوطا طويلا في هذا العلم خاصة فيما يتعلق بقياس جيب زاوية المثلث^(٤). غير أنه يرجع الفضل في وضع علم حساب المثلثات بطريقة منتظمة ومستقلة عن علم الفلك إلى بعض علماء العرب، وبفضلهم اعتبر علم المثلثات علما عربيا^(٥). هذه الطريقة المنتظمة كان لها أكبر الأثر في تطور العلوم الرياضية بصفة عامة.

والفكرة الأساسية في علم حساب المثلثات هي قياس المساحات الكبيرة والمساقط الطويلة بطريقة غير مباشرة، وكلمة علم حساب المثلثات في جميع اللغات تعنى قياس الارتفاعات^(٦).

وبصفة عامة لقد تطورت العلوم الرياضية وتقدمت على أيدي العلماء المسلمين حتى جاء عصر البيروني. وسوف نذكر كل مؤلفاته التي حصلنا عليها من المصادر في علم الرياضيات، حيث شهد له العلماء في أنواع الرياضيات والذي

(١) البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص ٧٧.

(٢) البيهقي: حكماء الإسلام، ص ١٨١.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج٥، ص ٤٨٧.

(٤) رشاد معتوق: الحياة العلمية في العراق في العصر البويهى: ص ٣٧٢.

(٥) عبد الحلیم منتصر: تاريخ العلم، ص ٦٩.

(٦) الدفعا: نوابغ علماء العرب والمسلمين في علم الرياضيات، ص ٤٦.

كان موضع احترام من قبل ملوك العصر والعصور اللاحقة، كما كانت موضوع تقدير لعلماء خراسان ففي العصر السلجوقي .

وأهم هذه المؤلفات:

كتاب فى "الحساب" وشرح فيها الأرقام الهندسية شرحا وافيا، وهى الأرقام التى اتخذت أساسا للأرقام العربية^(١).

كتاب "القانون المسعودى" المترجم، وهو كتاب يغطى على أثر كل كتاب صنف فى تنجيم أو حساب^(٢) ويحدثنا البيرونى فى مقدمة المقالة الثالثة من القانون المسعودى قائلا .

"أن الصناعة إذا أريد إخراجها إلى الفعل بمزاولة الحساب فيها والأعداد المفتقرة إلى معرفة أوتار الدوائر، ولذلك سمى أهلها كتبها العلمية زيجات من الزيت الذى هو بالفارسية زه بمعنى الوتر، وسموا أنصاف الأوتار جيوبا، وأن اسم الوتر بالهندية جيبا، ونصفه جيبارد، ولكن الهنود لم يستعملوا غير أنصاف الأوتار، وأوقعوا اسم لكل على النصف تخفيفا فى اللفظ^(٣) ."

لذلك وجدنا البيرونى يهتم بالمسائل المتعلقة بجيب الزوايا وتقسيمها واستخدام النسب المثلثية وإيجاد قيم لجيوب الزوايا المطلوبة^(٤).

كذلك أمكن البيرونى أن يقسم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية^(٥)، وله أيضا رسالة بحث فيها بعض المحاولات لتقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية^(٦).

كان البيرونى الخوارزمى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، أول عالم رياضى فى التاريخ يستعمل النسب المثلثية، وفى مجال الهندسة نجد البيرونى يعالج الأشكال الهندسية

(١) مصطفى لبيب عبد الغنى: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٩٨.

(٢) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ص ١٢٦.

(٣) أحمد سعيد الدمرداش: سلسلة أعلام الإسلام (٢)، البيرونى أبو الريحان محمد بن أحمد، ص ١٣٠، عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٤٩١.

(٤) عمر فروخ: المصدر السابق، ص ٤٩٢.

(٥) عمرو فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٤٩٣.

(٦) الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى علم الرياضيات، ص ١٧٦.

المنتظمة، ويوجد أطوال الأضلاع عن طريق حل المعادلات الدرجة الثانية والثالثة^(١). ووضع في الهندسة حلولاً لنظريات سميت فيما بعد باسمه^(٢).

ويدين علم حساب المثلثات Trigonometry بوجوده لرياضي العرب، فهم أول من أقامه علماً مستقلاً عن علم الفلك، بعد أن كان مجرد معلومات تخدم الفلك وأرصاده. وبفضل قوانين هذا العلم تقدمت بحوث الهندسة والمساحة والطبيعة. ولعل البيروني هو أول رواد هذا الفرع من الرياضيات، فقد وضع التحليلات المثلثية الزوايا مكان المربعة الزوايا لبطليموس، وأدخل خطوط التماس، ووضع النسب الحسابية المثلثية على النحو الذي تعرف به اليوم^(٣). ومن خلال علم حساب المثلثات استطاع إيجاد وتر العشر في الدائرة بعد أن توصل إلى المعادلة التالية:

$$\begin{aligned} \text{وتر العشر} &= \sqrt{1 + \frac{4}{\text{نق}} - \frac{2}{\text{نق}}} \\ &\text{وبافتراض نق} = 1 \\ \text{العشر} &= \sqrt{1 - 5} = 0,6183 \end{aligned}$$

، وتر العشر يقابل زاوية ٣٦°

نصف وتر العشر يقابل ١٨°

وبما أنه يساوي ٣٠.٩١٥.٠

فإن جيب ١٨° = ٣٠.٩١٥.٠ بالحساب المذكور^(٤)

هكذا كان العلماء المسلمون، من مؤسسي علم الرياضيات خلال العصور السابقة، ثم كان لهم تأثير في تطور هذه العلوم في إقليم خراسان في العصر السلجوقي.

(١) فروخ: المصدر السابق، ص ٤٩٣.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة (عصر الإيمان) مج ٧، ج ١٣، ص ١٦٨.

(٣) توفيق الطويل: في تراثنا العربي الإسلامي، ص ٢٣٩.

(٤) أحمد سعيد الدمرداش: البيروني، ص ١٣٨.

٥ - علم الفلك والتنجيم

أطلق بن يوسف الخوارزمي^(١) على علم الفلك اسم "علم الهيئة" وعرفه بأنه "معرفة" تراكيب الأفلاك وهيئتها وهيئة الأرض.

ارتبط علم الفلك والتقويم بواقعهم المعاشى الاقتصادى والاجتماعى والدينى^(٢)، كما أنه لشغفهم الشديد بمراقبة النجوم والشمس والقمر وحركتهم، مما أدى إلى تقدم علم الفلك^(٣).

ومما يدل على اهتمام الإسلام والمسلمين بمسألة النجوم والشمس والكواكب والفلك والتقويم، ما ورد فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى "هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون"^(٤).

كل ذلك أدى إلى اهتمام علماء المسلمين فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، إلى دراسة علم الفلك حرصا منهم على فهم الآيات القرآنية، وأظهر علماء المسلمين بتشجيع من الخلفاء والسلاطين والوزراء عنايتهم بهذه العلوم، بإقامة المراصد، وتأليف المصنفات الفلكية التى انتشرت فى البلاد الإسلامية^(٥).

أما علم التنجيم "النجوم" فيعرفه حاجى خليفة^(٦): "هو علم يعرف به الاستدلال إلى حوادث عالم الكون والفساد بالتشكيلات الفلكية، وهى أوضاع الأفلاك والكواكب، كالمقارنة، والمقابلة، والتثليث، والتسديس، والتربيع، إلى غير ذلك".

(١) مفاتيح العلوم: ص ١٢٥، للمزيد راجع ابن خلدون: المقدمة، ج ٣، ص ١٠٥.

(٢) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٢٣٤.

(٣) على عبد الله الرافع: أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥، ص ٢٧.

(٤) سورة يونس: الآية ٥، ٦.

(٥) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم، ص ٢٣٦، الدفاع: أثر علماء العرب، ص ١٦.

(٦) كشف الظنون، ج ٢، ص ١٩٣.

قال تعالى "هو الذى جعل لكم النجوم يعلمون" (١). ومن هذه الآية الكريمة ما يدل على أثر النجوم للاستدلال على الطرق برا وبحرا.

أطلق النظامى العروضى: على هذا العلم "علم الأحكام" وعرفه على أنه علم من فروع العلم الطبيعى وأساسه التخمين، والمقصود به الاستدلال من أشكال الكواكب بقياس بعضها إلى بعض، ومقياس الدرج والبروج، على مجرى الحوادث التى تفيض عن حركتها، من أحوال أدوار العالم، والملك والممالك، والبلدان، والمواليد، والتحاويل، والتساير، والاختيارات، والمسائل (٢).

وأشتهر فى علم الفلك من العلماء المسلمين فى بداية العصر السلجوقى أبو الريحان البيرونى المتوفى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، الذى لم يعرف أحدق منه فى علم الفلك، وقد شهد له العلماء فى هذا العلم (٣)، كما عرف بأنه إمام وقته فى علم النجوم، فقد تكسب البيرونى عيشه من عمله كمنجم (٤)، وله الكثير من التصانيف فى علم الفلك والتنجيم، هذه المصنفات أطلع عليها علماء خراسان وغيرها للإفادة منها فى هذا العلم، ومن أهم مؤلفاته "التفهيم فى صناعة التنجيم" (٥)، وكتاب "مقاليد الهيئة" (٦) وغيرها.

وكان لمؤلفات البيرونى ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، أكبر الأثر فى تطور هذا العلم فى العصر السلجوقى، مما يدل على أن البيرونى كان أحد أهم ممثلى هذا العلم الذى ازدهر وانتشر ظلالة فى ربوع الدنيا فى عصره، والعصور اللاحقة (٧).

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٧.

(٢) جهار مقالة: المقالة الثالثة، ص ٦٢، ٦٣.

(٣) محبوبة: نظام الملك، ص ١٦٧.

(٤) اليمنى ظريف الخولى: بحوث فى تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م ص ١٧٦.

(٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، ج ٣، ص ٣٠، النظامى العروضى: جهار مقالة، ص ٦٢.

(٦) ابن أبى أصيبعة، نفسه، ج ٣، ص ٣٠.

(٧) أنامارى يشمل: الإسلام دين الإنسانية، ترجمة وتعليق د/ صلاح عبد العزيز محبوب، راجعه د/ محمود فهمى حجازى، ط ٢، العدد ٩٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة تصدر كل شهر عربى، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٩٩.

ومن الفلكيين الذين عاشوا فى العصر السلجوقى: عمر الخيام، وله مصنفات فى هذا العلم، منها "بعض الجداول الفلكية فى النجوم"^(١).

ومنهم أيضا، أبو المظفر بن عبد الله النيسابورى ت ٥٦٠هـ/المشهور بالفلكى، نسبة إلى تجره فى علم الفلك^(٢).

ولقد ارتبط علم الفلك والتنجيم بالعلوم الدينية، فقد كان أكثر علماء المسلمين يرون ضرورة الاشتغال به لخدمة الدين، ومنهم المفسر والفقيه والمتكلم، فخر الدين الرازى المعمر ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م، نزيل هراة، وكان إلى جانب اهتماماته بالعلوم الشرعية يهتم أيضا بعلم الفلك وغيره من العلوم العقلية، ومن مصنفات هذا العلم الأحكام العلائية فى التأثيرات السماوية^(٣)، وهو كتاب فارسى مختصر فى الأخبار النجومية، ومرتبة على مقالتين الأولى فى الكليات المثالية والثانية فى الجزئيات^(٤).

ومن أشهر المنجمين فى العصر السلجوقى "عمر الخيام ت ٥٢٦هـ/١١٣١م"، وكان السلطان ملكشاه ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م شديد الولع بعلم النجوم، وكان يسير وفق ما يشير به علماءه، وكان لا يخرج لصيد أو حرب دون استطلاع رأى عمر الخيام عن طالع يومه، ومن هذا كان اهتمامه ورعايته للخيام، ومصاحبته له غدوه ورواحه، وفى صيده، ولهوه، وحروبه^(٥).

يعتبر الخيام من أشهر منجمى خراسان فى العصر السلجوقى، حيث تقدم على يديه علم الفلك والرياضة فى العصر السلجوقى، ويدل على ذلك "الزيج الجلالى" - التقويم السنوى الذى وضع فى عهد ملكشاه، وبناء على توصية نظام

(١) أحمد كمال الدين حلمى: عمر الخيام، ص ١٣٣.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥٦، ابن العلماء الحنبلى: شذرات الذهب، ح ٤، ص ١٨٨.

(٣) ابن الفطى: أخبار العلماء، ص ١٩٢.

(٤) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ١٩.

(٥) النظامى العروضى: جهاز مقالة، ص ٦٩.

الملك، وتحت إشرافه، حينما جمع مشاهير منجمي عصره لوضعه^(١)، والذي قال فيه النظامى العروضى: "أنه عدم القرين فى علم النجوم والحكم عليه"^(٢).

ولم يبلغ أى أحد من المنجمين فى ذلك العصر ما بلغه الخيام، وكان يعظمه أيضا شمس الملوك حاكم بخارى، غاية التعظيم ويجلسه على سريره^(٣)، وروى النظامى العروضى^(٤): "أن عمر الخيام ومظفر الاسفزازى" نزلا دار الأمير أبى سعيد فى مدينة بلخ سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م، وكان النظامى العروضى متصلا بهذا الأمير، فسمع عمر الخيام يقول فى أثناء مجلس السمر "سيكون قبرى فى موضع تؤرجه ريح الشمال بشذى الورد كل ربيع" وأضاف العروضى أنه لما زار نيسابور سنة ٥٣٠هـ/١١٣٧م، وقد مرت أربع سنوات على وفاة الخيام ذهب لزيارة قبر أستاذه يوم جمعة، فرأى قبره أسفل جدار بستانى، قد أطلت منه أشجار الكمثرى والمشمش، وقد تناثر على القبر كثير من الزهر حتى غطاه.

وعلى الرغم مما بلغه الخيام من شأن فى علم النجوم، لم يعتقد فى أحكامها قط^(٥)، وكان ذلك سبب سيطرة العقيدة الدينية على الناس آنذاك، إذ ورد فى الأثر الشريف "كذب المنجمون ولو صدقوا"، ولقد علق النظامى العروضى^(٦) نفسه على أحكام النجوم بقوله "أنه برغم انتشارها لا يجوز الاعتماد عليها، ولا ينبغى للمنجم أن يمعن فيها، بل عليه أن يحيل كل حكم يراه على القضاء والقدر". ومن الفلكيين أيضا محمد بن أحمد بن بشر المروزى وله من الكتب "تبصرة فى الهيئة"، "منتهى الإدراك فى تفسير الأفلاك"^(٧).

(١) القزوينى: آثار البلاد، ص ٣١٨.

(٢) جهار مقالة، ص ٦٩، ٧٠.

(٣) النظامى: نفسه، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٤) النظامى، نفسه، ص ٦٩، ٧٠.

(٥) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٥٢٧.

(٦) جهار مقالة، ص ٧٠.

(٧) البغدادى: هدية العارفين، ج ٢، ص ٨٨.

٦ - الفلسفة وعلم الكلام

الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهى فيلاسوفيا، وتفسيرها محبة الحكمة، فلما عبرت قيل فيلسوف ثم اشتقت الفلسفة منه^(١).

ولقد قرأ المسلمون الفلسفة فى الكتب اليونانية، وأضافوا إليها آرائهم^(٢)، مما نتج عنه تكوين الفكر الإسلامى^(٣)، كما جاءت أفكار الهند إلى بلاد الإسلام عن طريق غزنة وفارس^(٤).

وهكذا انتقل التراث الفلسفى اليونانى إلى المسلمين^(٥)، فبعد أن قرأ المسلمون كتب الفلسفة، عمدوا إلى الكتابة إلى تلك الموضوعات من عند أنفسهم، ويندر أن يشتغل العالم منهم فى الفلسفة دون الطب والنجوم، أو فى الطب دون الفلسفة والنجوم، أو بالعكس^(٦).

ومن أكبر فلاسفة المسلمين وأشهرهم فى العصر السلجوقى الغزالى الذى يعد من أشهر فلاسفة الإسلام، وكان مصلحا دينيا واجتماعيا، وألف كتاب "المنقذ من الضلال" لهذا العرض، ويكفى كتابة "تهافت الفلاسفة" للرد على فلاسفة عصره^(٧).

(١) الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٧٩، عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفى فى الإسلام، ط٢، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص١٦٣.

(٢) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ج٣، ص١٩٦.

(٣) جوزيف شاخب، كليفور د.أ. بز زورث: تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهورى، حسين مؤنس، إحسان صدقى العمدة، تعليق وتحقيق شاكى مصطفى، مراجعة فؤاد زكريا، ط٢، مكتبة عالم المعرفة الكويت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢، ص٦٧.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة د/ذكى نجيب محمود، محمد بدران، عبد الحميد يونس، فؤاد أندراواسى، محمد على أبو درة، ٢٢ مجلد فى ٤٢ جزء، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م، عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، ج١٣، ص١٩٧.

(٥) محمد محمود أبو قحف: الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ومدارسه، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، ١٩٣٣م، ص٣٧.

(٦) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص١٩٦.

(٧) محمد عبد العظيم: نظم الحكم، ص٥٥٢.

٧ - علم التاريخ

كان علم التاريخ جزءاً من التطور الفكري في إقليم خراسان في العصر السلجوقي، والتاريخ في اللغة "الإعلام بالوقت يقال أرخت الكتاب وورخته أى بينت وقت كتابته" (١).

ويقول ابن خلدون "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب حجم الفائدة إذ يفقنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم والملوك في دولتهم وسياستهم" (٢). ولفظ "التاريخ، تعريب لكلمة "ماه روز" الفارسية، ومعناها حسب الأيام والشهور، فقالوا مؤرخ وجعلوا مصدره التأريخ (٣)، وتوحي لفظه "ماه روز" بأن المراد منها تعيين بدء الشهر القمري" (٤).

إن الغرض من دراسة التاريخ هو معرفة الوقائع البشرية والأحداث التاريخية والظروف التي حدثت فيها، وأسبابها على وجه الحقيقة، والفكر التاريخي لكي يتطور، يتطلب اتباع منهج النقد والتحليل، غير أن الكتابة التاريخية لا تخلو عادة من الغرض، أو الوقوع تحت تأثير المؤثرات الدينية كانت أو الشخصية، أو السياسية، غير أن ذلك يجري بدرجات متفاوتة، تخضع لمدى وضوح الهدف، وقوة وضوح شخصية الباحث، وقدرته على الالتزام بموقف الحياء (٥).

ذخر العصر السلجوقي بطائفة من كبار مؤرخي خراسان، الذين أمدونا بمعلومات وفيرة عن مدن خراسان، وعن العصر السلجوقي ومن أشهرهم.
- أبو بكر البيهقي ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م، وله "جامع التاريخ" (٦).

(١) السخاوى محمد عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ط ١، دار الجبل، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج ١، ص ٨، للمزيد راجع حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٢٣١.

(٣) البيروني: أبو الريحاني محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المثنى، القاهرة، بدون، ص ٢٩.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخين العرب، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ١٨.

(٥) مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق، ص ٤٣٠.

(٦) البغدادي: هدية العارفين، ج ١، ص ٧٨.

- محمد بن حسين بن عبد الله الروذراوى ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٦م، وله كتاب "ذيل تجارب الأمم" (١).

- أبى يوسف يعقوب الأسفراينى ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٦م، وصنف "سير الخلافة" (٢).

ولقد جمع كثير من أئمة وعلماء المسلمين بين علمى الحديث والتاريخ، حيث كان أكثر علماء المسلمين يرون ضرورة الاشتغال به لخدمة الغرض الدينى حتى يصبح علم التاريخ على هذا النحو، وسيلة لفهم الفقه والشريعة والوقوف على أصول رواة الحديث، وتواريخ شيوخه، ومن هؤلاء العلماء الإمام الحافظ، محدث هراة ومؤرخها.

الحاكم عبد الله الحسين بن محمد الكتبى الهروى، المؤرخ الحافظ، وكانت له عناية تامة بالتواريخ لخدمة الحديث، وتوفى سنة ٤٩٤هـ / ١١٠١م (٣).

كما جمع كثير من الأدباء بين الأدب والتاريخ، منهم الحسن بن المظفر النيبابورى ت ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م، وألف كتاب "تاريخ زيادات أخبار خوارزم" (٤).

الأديب والشاعر أبو مظفر الأبيوردى ت ٥٠٧هـ / ١١١٤م، وكانت له معرفة حسنة باللغة والنسب، ولذلك أطلق عليه اللغوى الشاعر الأخبارى النسابة، صاحب التصانيف والبلاغة والفصاحة، ومن مؤلفاته التاريخية "تاريخ أبيوردونسا"، "والمختلف والمؤتلف فى أنساب العرب"، وغير ذلك (٥).

والأديب محمود بن مسعود البلخى الأديب المؤرخ ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م، وله "زينة الزمان فى التاريخ" (٦).

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ٩٠، وما بعدها.

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج٣، ص ١٠١٣.

(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٥٨، ٤٥٩.

(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٣، ص ٩٥.

(٥) ابن الجوزى: التنظيم، ج٩، ص ١٧٦، ١٧٧، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب،

ج٤، ص ٢٠: ١٨

(٦) البغدادى: هدية العارفين، ج٢، ص ٤٠٣.

أبى نصر المروزى، محمد بن محمد ت ١١٣٦هـ/١١٣٦م، وله "أخبار العلماء"، وهو كتاب يتحدث فيه عن أخبار العلماء وتواريخهم^(١).

ومن جمع بين الفقه والتاريخ محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الفقيه الشافعى ت ١١٢٨هـ/١١٢٨م، صنف "تاريخ هراة، وذيل على، ذيل تجارب الأمم" لأبى شجاع المتوفى ١٠٩٥هـ/١٠٩٥^(٢).

ومن علماء التاريخ الذين لهم عناية خاصة بتواريخ المدن أبى روح بن عيسى الهروى ت ١١٤٩هـ/١١٤٩م، مصنف "تواريخ هراة"^(٣).

أبى محمد بن عبد الجبار الخرقى ت ١١٥٨هـ/١١٥٨م وصنف "تواريخ مرو"^(٤).

أبى الحسن عبد الغافر ت ١١٣٦هـ/١١٣٦م، له تتممة تاريخ نيسابور "سياق التاريخ"^(٥).

وعلى بن أبى صالح الخوارى البيهقى، وكان حيا فى ١١٣٣هـ/١١٣٣م، وله "تاريخ بيهق"، وهو فى عدة أجزاء^(٦).

ومن العلماء الذين جمعوا الفقه والحديث والتاريخ، السمعانى ت ١١٦٦هـ/١١٦٦م، ويعد من علماء الأنساب، وله مؤلف مهم هو "الأنساب"، وذيل على "تاريخ بغداد" وله "تاريخ مرو"^(٧).

وأبى الحسن على بن زيد البيهقى ت ١٠٦٩هـ/١٠٦٩م، وصنف "تاريخ بيهق"^(٨).

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٢٧.

(٢) البغدادى: هدية العارفين، ج٢، ص ٨٥.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٣٩.

(٤) البيهقى: حكماء الإسلام، ص ١٧٣، حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٣٠٣ وقد ذكر البيهقى وفاته ١١٣٨هـ/١١٣٨م

(٥) البيهقى: تاريخ بيهق، ص ٨.

(٦) البيهقى: تاريخ بيهق، ص ٩.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٧٤، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٩، ٢٠.

(٨) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ٢٨٩.

٨ - علم الجغرافيا

تجمع قواميس اللغة على اختلافها بأن الجغرافيا هي العلم المختص بدراسة سطح الأرض^(١). ولقد نشأ الفكر الجغرافي نشأة عفوية تلقائية، لكي يجنب الإنسان التخبط في المكان، أو لكي يرشد التعايش في المكان^(٢).

تطور الفكر الجغرافي في العصر السلجوقي، وكان أول من ساهم في هذا التطور الجغرافي البيروني ت ١٠٤٨هـ/١٠٤٨م، حيث بحث في الجغرافية الفلكية من خلال كتابه "القانون المسعودي"،^(٣) كما بحث في الجغرافية الإقليمية والدراسات التي توصل إليها واضحة جلية في كتابه "تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن"^(٤)، كما أعطى للمد الإسلامي وصفا دقيقا تاريخيا وجغرافيا في كتابه تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة^(٥).

ومن علماء خراسان الرحالة الذين ألفوا في الجغرافيا ناصر خسرو وعلوي القباذاني ت ١٠٨٨هـ/١٠٨٨م الرحالة، وتحدث عن بلاد خراسان ابتداء من رحلته عندما خرج من مرو^(٦).

كما اشتهرت المعاجم الجغرافية في العالم الإسلامي، وتناولت بعض الكتب أنماطا من التصنيف المعجمي الجغرافي، وأشهرها المعجم الجغرافي ذو الشهرة الواسعة "معجم البلدان" لمؤلفه ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م والذي كانت

(١) طه عثمان الفراء ومحمد محمود حمدين: المدخل إلى علم الجغرافيا، ط ٢، نشر دار المريخ، طبعة الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص ٤.

(٢) صلاح الدين علي الشامي: الفكر الجغرافي سيرة وعسيرة، نشر منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص ١٧.

(٣) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٥، ص ١٢٦.

(٤) البغدادي: هدية العارفين، ج ٢، ص ٦٥.

(٥) النظامي العروضي: جهار مقالة، حواشي المقالة الثانية، حاشية (١)، ص ١٤٧، أحمد سعيد الدمرداش: البيروني أبو الريحاني محمد بن أحمد، سلسلة أعلام الإسلام، ص ١٣٠.

(٦) القباذاني: ناصر خسرو وعلوي ت ١٠٨٨هـ/١٠٨٨م، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٣٣م، ص ٨.

له الرحلة إلى خراسان، وطاف في بلادها، وتحدث عنها في معجمه الضخم، يعد هذا المع المختلفة كل ذلك في ترتيب هجائي، ويعتبر هذا المعجم أفضل مصنف من نوعه لمؤلف مسلم في العصور الوسطى^(١).

هكذا شهد إقليم خراسان في العصر السلجوقي، كثيرا من العلماء والأدباء في مختلف العلوم، ساهموا بجهدهم وفكرهم وإنتاجهم العلمي والأدبي في حماية اللغة العربية والإسلام، مما أدى إلى تطور الحضارة الإسلامية، ونتاجهم العلمي والأدبي شاهدا على هذا التطور الذي حدث في هذا الإقليم في ذلك العصر.

(١) عثمان الفراء: المدخل، ص ٢٥.

الفاثمة

بعدهما سبق عرضه على امتداد صفحات هذا البحث، نستطيع أن نستخلص عدة نتائج هامة تتعلق بتطور الحياة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى .

- لقد لعب إقليم خراسان دورا بارزا فى تطور الحياة الفكرية، فقد كانت مدن خراسان عواصم للدولة السلجوقية، فأصبحت بذلك مراكز رئيسية للإشعاع الفكرى، كما كانت خراسان منارا للعلم ومقرا للعلماء على اختلاف تخصصاتهم العلمية، حيث انتشرت المؤسسات العلمية، وشملت مدن وقرى إقليم خراسان كافة، فخرج منه علماء كان لهم تأثير فى كافة الأقاليم الإسلامية بما نشره من علم وفكر خلال العصر السلجوقى .

- لعب سلاطين السلاجقة ووزرائهم دورا بارزا فى تطور الحياة الفكرية، من خلال اهتمامهم بالعلم والعلماء، وبناء المؤسسات العلمية، مما أدى إلى نشاط العلم والتعليم، وازدهار العلوم وضخامة الإنتاج العلمى والأدبى .

- كما كان سلاطين السلاجقة أنفسهم، يدرسون الفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة، بينما كان معظم وزرائهم على المذهب الشافعى، فقد كان السلاطين يقومون ببناء المدارس والمساجد لتدريس مذهب أبى حنيفة، فى نفس الوقت الذى يقوم الوزراء ببناء مدارس لأصحاب مذهب الإمام الشافعى، مثل السلطان ملكشاه وألب أرسلان، ووزيرهما نظام الملك، ولقد أدى هذا الاختلاف فى المذهب فى إقليم خراسان إلى نشاط علمى وفكرى كبيرين تمثل فى نشر هذه المذاهب وتدريسها، والتأليف فيها لمذهب معين كالشافعية والحنفية، كما أصبحت هناك مؤلفات شيعية ومعتزلية وغيره من هذه الفرق والمذاهب .

كان للرحلات العلمية من إقليم خراسان وإليه لإلقاء العلم وإلقاء أو تلقيه أثر مباشر فى تطور الحياة الفكرية، كما كانت للكتب التى دخلت إلى خراسان أثرها البالغ فى نشاط الحركة الفكرية، مثل كتب البيرونى ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨ فى الرياضيات والكيمياء والصيدلة، هذه المؤلفات التى اعتمد عليها علماء خراسان والبلدان الإسلامية فى الشرح والتوضيح والتلخيص والتأليف .

- كان للمؤسسات العلمية وخاصة المدارس دورا بارزا فى تطور الحياة الفكرية، فقد قام الوزير نظام الملك ت ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، ببناء المدارس النظامية لتدريس على مذهب الإمام الشافعى، مما أدى إلى قيام علماء الحنفية ببناء المدارس لتدريس مذهبهم وأصوله، فانتشرت المؤلفات على مذهب الشافعى ومناقبه، جنبا إلى جنب مع مؤلفات علماء الحنفية، وفى عهد السلطان سنجرت ٥٥٢هـ/١١٥٧م، اهتم ببناء المؤسسات العلمية لأصحاب المذهب الحنفى، فقام علماء الشافعية ببناء المدارس لتدريس مذهبهم وأصوله.

- كل هذا أدى إلى نزاع فكرى طوال العصر السلجوقى نتج عنه نشاط فكرى أثرى الحياة العلمية بهذه المؤلفات الضخمة، فانتشرت المؤلفات العلمية وخاصة فى العلوم النقلية، فانتشرت التفاسير، كما انتشرت المؤلفات العقلية، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالعلوم النقلية، فوجد مثلا المؤرخ، محدثا وفقهيا وأديبا، فانتشرت المؤلفات فى علم التاريخ، وخاصة تواريخ مدن خراسان، مما أدى إلى تطور علم التاريخ فى العصر السلجوقى.

- هكذا كان إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، قد شهد تطورا كبيرا فى الحركة الفكرية، مما جعل منه مركزا من مراكز الإشعاع الفكرى والحضارى، واضحا مقصدا للعلماء والطلاب، لعرض ومناقشة إنتاجهم العلمى والأدبى فى المؤسسات العلمية، مما نتج عنه حركة فكرية مزدهرة، لم يقف عند حد العرض والمناقشة، بل امتدت إلى الشروح والتوضيح والاختصار والتأليف مما نتج عنه هذا الكم الهائل من المؤلفات العلمية فى مختلف أنواع العلوم النقلية والعقلية، هذه المؤلفات التى كان لها الفضل الأكبر فى حماية اللغة العربية، والحضارة الإسلامية بل والإسلام.
